

ابن عبد ربه

الإيدي السقية

892.78
I1314^{1/2}A
v.3

89

I I

TA

NOV 1

الأيدي السخية

العقد الفريد

من أشهر المجموعات الأدبية عند العرب ،
فيه أدب - وأقوال - ونوادر - وملح -
وتاريخ - وأخبار الخ . الخ



الأيدي السخية

هو كتاب الزبرجدة الأولى من العقد ،
مضبوط ومشروح بقلم

كرم البستاني

المقدّم الفردي

لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي

892.708

٣ I132ikaf

v.3

c.1

الأيدي السخية

مكتبة صادر
ببيروت

Cat. 26 Dec. 52

الحقوق محفوظة لمكتبة صادر

كتاب الزبرجدة

في الأجواد والأصفاد

قال الفقيه أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربّه ، تغمّده
الله برحمته : قد مضى قولنا في الحروب وما يدخلها من
النقص والكمال ، وتقدّم الرجال ؛ على منازلهم من الصبر
والجلد ، والعدّة والعدد . ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه
في الأجواد والأصفاد ، إذ كان أشرف ملابس الدنيا ،
وأزین حللها ، وأجلبها لحمد ، وأدفعها لذم ، وأسترها
لعييب ، كرم طبيعة يتحلّى بها السّمح السّري ، والجواد
السّخي ؛ ولو لم يكن في الكرم إلا أنه صفة من صفات الله
تعالى تسمّى بها ، فهو الكريم عزّ وجلّ . ومن كان كريماً
من خلقه ، فقد تسمّى باسمه ، واحتذى على صفته .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : إذا أتاكم كريم قوم
فأكرموه .

وفي الحديث المأثور : الخَلْقُ عِيَالُ اللَّهِ ، فَأَحَبُّ الْخَلْقِ
إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ .

وقال الحسنُ والحُسَيْنُ لعبدِ اللَّهِ بنِ جعفر : إنك قد
أسرفتَ في بذلِ المالِ ؛ قال : بأبي وأُمِّي أنتما ، إن الله قد
عوّدتني أن يتفضّلَ عليّ ، وعوّدته أن أتفضّلَ على عبادِهِ ،
فأخافُ أن أقطَعَ العادةَ فيقطعَ عني .

وقال المأمونُ لمحمدِ بنِ عَمَادٍ المهلبِيِّ : أنتَ مُتَلاَفٌ ؛
قال : مَنْعُ الْجُودِ سُوءُ ظَنٍّ بِالْمَعْبُودِ . يقولُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ :
وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : أَنْفِقْ بِلَالٍ وَلَا تَخْشَ
مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا .

مدح الكرم وذم البخل

قال النبي صلى الله عليه وسلم : اصطناعُ المعروف بقي مَصَارِعَ الشَّوْءِ .

وقال عليه الصلاة والسلام : إن الله يُحِبُّ الْجُودَ وَمَسْكَرَمَ الْأَخْلَاقِ ، وَيُبْغِضُ سَفْسَافَهَا .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لقومٍ من العرب : مَنْ سَيِّدُكُمْ ؟ قالوا : الْجَدُّ ابْنُ قَيْسٍ عَلَى بُخْلٍ فِيهِ ؛ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَى مِنَ الْبُخْلِ ١ !

يقول الله تعالى : وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ .

وقال أكرم بن صَيْفِي حَكِيمُ الْعَرَبِ : ذَلَّلُوا أَخْلَاقَكُمْ لِلْمَطَالِبِ ، وَقَوِّدُوهَا إِلَى الْمَحَامِدِ ، وَعَدِّمُوهَا الْمَكَارِمَ ، وَلَا تَقِيمُوا عَلَى خُلُقٍ تَذْمُونَهُ مِنْ غَيْرِكُمْ ، وَصَلُّوا مِنْ رَغَبٍ

١ أي : أي عيب اقبح منه !

إِلَيْكُمْ ، وَتَحَلَّوْا بِالْجُودِ يَكْسِبِكُمُ الْمَحَبَّةُ ، وَلَا تَقْتَعِدُوا
الْبُخْلَ ١ ، فَتَتَعَبَّلُوا الْفَقْرَ .

أَخَذَهُ الشَّاعِرُ فَقَالَ :

أَمِنْ خَوْفِ فَقْرٍ تَعَجَّلْتَهُ ، وَأَسْرَتَ إِنْفَاقٍ مَا تَجْمَعُ
فَصِرْتَ الْفَقِيرَ ، وَأَنْتَ الْغَنِيُّ ، وَمَا كُنْتَ تَعْدُو الَّذِي تَصْنَعُ

وَكُتِبَ رَجُلٌ مِنَ الْبُخْلَاءِ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَسْخِيَاءِ بِأَمْرِهِ
بِالْإِبْقَاءِ عَلَى نَفْسِهِ وَنَحْوُفِهِ بِالْفَقْرِ . فَرَدَّ عَلَيْهِ : الشَّيْطَانُ
يَعِدُكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً
مِنْهُ وَفَضْلًا ؛ وَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَتْرُكَ أَمْرًا قَدْ وَقَعَ لِأَمْرٍ
لَعَلَّهُ لَا يَقَعُ .

وَكَانَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ : أَيُّهَا
النَّاسُ ، عَلَيْكُمْ بِالْمَعْرُوفِ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُعْدِمُ فَاعِلَهُ جَوَازِيهَ ٢ ،
وَمَا ضَعُفَتْ النَّاسُ عَنْ أَدَائِهِ قَوِيَّ اللَّهِ عَلَى جَزَائِهِ .

وَأَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ الْحُطَيْيَّةِ :

١ لَا تَقْتَعِدُوا الْبُخْلَ : لَا تَتَخَذُوهُ مَطْلَبًا .

٢ جَوَازِيهِ : الْمَكَافَأَةُ عَلَيْهِ .

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْدُمُ جَوَازِيَهُ ،
لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ .

وَأَخَذَهُ الْخَطِيئَةُ مِنْ بَعْضِ الْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ . يَقُولُ اللَّهُ
تَعَالَى فِيمَا أَنْزَلَهُ عَلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ يَجِدْهُ
عِنْدِي ، لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي .

وَكَانَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ يَقُولُ عَلَى الْمُنْبَرِ : مَنْ رَزَقَهُ
اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا فَلْيُتَّقِ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ، حَتَّى يَكُونَ أَسْعَدَ
النَّاسِ بِهِ ، فَإِنَّمَا يَتْرَكُ مَا يَتْرَكُ لِأَحَدٍ رَجُلَيْنِ : إِمَّا لِلْمُصْلِحِ
فَلَا يَقِلُّ عَلَيْهِ شَيْءٌ ، وَإِمَّا لِلْمُفْسِدِ فَلَا يَبْقَى لَهُ شَيْءٌ .
أَخَذَهُ الشَّاعِرُ فَقَالَ :

أَسْعِدْ بِمَالِكَ فِي الْحَيَاةِ ، فَإِنَّمَا
يَبْقَى ، خِلَافُكَ ، مُصْلِحٌ أَوْ مُفْسِدٌ
فَإِذَا جَمَعْتَ الْمُفْسِدَ لَمْ يُغْنِهِ ،
وَأَخُو الصَّلَاحِ قَلِيلُهُ يَتَزَيَّدُ

وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : إِنَّ لَكَ فِي مَالِكَ شَرِيكَيْنِ : الْحَدَّثَانِ
وَالْوَارِثَ ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَلَّا تَكُونَ أَجْنَسَ الشُّرَكَاءِ
حِظًّا فَافْعَلْ .

وقال بُزْرَجُ مِهْرُ الفارسيّ : إِذَا أَقْبَلَتْ عَلَيْكَ الدُّنْيَا فَأَنْفِقْ
مِنْهَا فَإِنَّهَا لَا تَقْنَى ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَنْكَ فَأَنْفِقْ مِنْهَا فَإِنَّهَا
لَا تَبْقَى .

أَخَذَ الشَّاعِرُ هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ :

لَا تَبْخُلَنَّ بِدُنْيَا ، وَهِيَ مُقْبِلَةٌ ،
فَلَيْسَ يَنْقُصُهَا التَّبَذِيرُ وَالسَّرْفُ
وَإِنْ تَوَلَّيْتَ ، فَأَحْرَى أَنْ تَجُودَ بِهَا ،
فَالْحَمْدُ مِنْهَا ، إِذَا مَا أَدْبَرْتَ ، خَلَفَ

وَكَانَ كِسْرَى يَقُولُ : عَلَيْكُمْ بِأَهْلِ السَّخَاءِ وَالشَّجَاعَةِ ،
فَإِنَّهُمْ أَهْلُ حَسَنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى ، وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْبُخْلِ لَمْ
يَدْخُلْ عَلَيْهِمْ مِنْ ضَرَرٍ مُجْلِهِمْ ، وَمَدَمَّةِ النَّاسِ لَهُمْ ، وَإِطْبَاقِ
الْقُلُوبِ عَلَى بُغْضِهِمْ ، إِلَّا سَوْءُ ظَنِّهِمْ بَرَبِّهِمْ فِي الْخَلْفِ ،
لَكَانَ عَظِيمًا .

وَأَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى مُحَمَّدٌ الْوَرَّاقُ فَقَالَ :

مَنْ ظَنَّ بِاللَّهِ خَيْرًا جَادَ مُبْتَدِئًا ،
وَالْبُخْلُ مِنْ سُوءِ ظَنِّ الْمَرْءِ بِاللَّهِ

مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ : خَرَجْتُ مَعَ

موسى الهادي أمير المؤمنين من جرجان ، فقال لي : إما أن
تحملني وإما أن أحملك ؛ ففهمت ما أراد فأنشدته أبيات
ابن صرمة الأنصاري :

فأوصيكمُ بالله ، أوّلَ وهلة ،

وأحسابكمُ ، والبيرُ بالله أوّلُ

وإن قومكم سادوا فلا تحسّدوهم ؛

وإن كنتم أهلَ السيادة فاعدلوا

وإن أنتم أعوزتم ، فتعقّبوا ؛

وإن كان فضلُ المالِ فيكم ، فأفضلوا

فأمر لي بعشرين ألفاً .

وقال عبدُ الله بنُ عباس : ساداتُ الناس في الدنيا الأسخياءُ
وفي الآخرة الأتقياء .

وقال أبو مسلم الخولاني : ما شيءٌ أحسنَ من المعروفِ
إلاّ ثوابه ، وما كلّ من قدرَ على المعروفِ كانت له نيّةٌ ،
فإذا اجتمعتِ القُدرةُ والنيّةُ تمتِ السعادة ؛ وأنشد :

إنّ المكارمَ كلّها حسنٌ ، والبذلُ أحسنُ ذلك الحسنِ

كَمْ عَارَفٍ بِي لَسْتُ أَعْرِفُهُ ، وَمُخَبَّرٍ عَنِّي ، وَلَمْ يَرَنِي
يَأْتِيهِمْ تَخْبِرِي ، وَإِنْ بَعُدَتْ دَارِي ، وَبُوعِدَ عَنْهُمْ وَطَنِي
إِنِّي لِحُرِّ الْمَالِ مُتَمَتِّنٌ ؛ وَلِحُرِّ عِرْضِي غَيْرُ مُتَمَتِّنٍ .

وقال خالد بن عبد الله القسري : من أصابه غبارُ مركبي
فقد وجب عليَّ شكرُهُ .

وقال عمرو بن العاص : والله لَرَجُلٌ ذَكَرَنِي ، يَنَامُ عَلَى
شِقَّةٍ مَرَّةً وَعَلَى شِقَّةٍ أُخْرَى ، يَرَانِي مَوْضِعاً لِحَاجَتِهِ ،
لَأَوْجِبُ عَلَيَّ حَقّاً إِذَا سَأَلَنِيهَا ، مَنِي إِذَا قَضَيْتُهَا لَهُ .

وقال عبد العزيز بن مروان : إِذَا أَمَكَّنِي الرَّجُلُ مِنْ
نَفْسِهِ حَتَّى أَضَعَ مَعْرُوفِي عِنْدَهُ ، فَيَدُهُ عِنْدِي أَعْظَمُ مِنْ يَدِي
عِنْدَهُ . وَأَنْشَدَ لَابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا :

إِذَا طَارَقَاتُ الْهَمِّ ضَاجِعَتِ الْفَقَى ،
وَأَعْمَلَ فِكْرَ اللَّيْلِ ، وَاللَّيْلُ عَاكِرُ

وَبَاكَرَنِي فِي حَاجَةٍ ، لَمْ يَكُنْ لَهَا
سِوَايَ ، وَلَا مِنْ نَكْبَةِ الدَّهْرِ نَاصِرُ

فَرَجْتُ بِمَالِي هَمَّهُ عَنْ خِنَاقِهِ ،
وَزَايِلَهُ هَمُّ الطَّرِيقِ الْمُسَاوِرِ

وَكَانَ لَهُ فَضْلٌ عَلَيَّ بَطْنُهُ
بِي الْخَيْرِ ، إِنِّي لِلَّذِي ظَنُّ شَاكِرٌ

•
وقيل لأبي عُقيلٍ البليغِ العِراقيّ : كيف رأيت مروانَ
ابنَ الحَكَمِ عندَ طَلَبِ الحَاجةِ إليه ؟ قال : رأيتُ رَغْبَتَهُ في
الإنعامِ فوقَ رَغْبَتِهِ في الشكرِ ، وحَاجَتَهُ إلى قضاءِ الحَاجةِ
أشدَّ من حَاجةِ صاحبِ الحَاجةِ .

•
وقال زياد : كفى بالبُخلِ عاراً أنَّ اسمَه لم يَقَعْ في حَمْدِ
قطٍّ ، وكفى بالجُودِ فخرّاً أنَّ اسمَه لم يَقَعْ في ذَمٍّ قط .

•
وقال آخر :

لَقَدْ عَلِمْتُ ، وَقَدْ قَطَّعْتَنِي عَذْلاً ،
مَاذَا مِنَ الْفَضْلِ بَيْنَ الْبُخْلِ وَالْجُودِ
إِلَّا يَكُنْ وَرَقٌ يَوْمَآ أَرَّاحُ بِهِ
لِلخَابِطِينَ ، فَإِنِّي لَيْسُ الْعُودُ

١ أَرَّاحُ : مضارع راح للمعروف : اخذته له خفة وحمية .

لا يَعدَمُ السائلونَ الحَيَرَ أَفعَله ،
إِما نوالاً ، وإِما حُسْنَ مرَدودٍ

قوله : إِلَّا يَكُنْ وَرَقٌ ، يريدُ المالَ ، وَضَرِبَهُ مَثَلًا . ويقالُ :
أتى فلانُ فلاناً يَحْتَبِطُ ما عِنْدَهُ ، والاختِباطُ : ضَرْبُ
الشجرِ لِيَسْقَطَ الورقُ لِتَأْكَلَهُ السَّائِمَةُ ، فجعلَ طالبَ الرِّزْقِ
مِثْلَ الحَاطِطِ .

وقالُ أَسْمَاءُ بنُ خَارِجَةَ : ما أُحِبُّ أنْ أَرُدَّ أَحَدًا عَنِ
حَاجَةِ طَلِبِها ، لِأنَّهُ لا يَحِلُّو أنْ يَكُونُ كَرِيمًا فَأَصُونَ لَهُ عِرْضَهُ ،
أو لَيْسًا فَأَصُونَ عِرْضِي مِنْهُ .

وقالُ أَرِسْطو طالِيسُ : مَنْ انْتَجَعَكَ مِنْ بِلادِهِ فَقَدْ ابْتَدَأَكَ
بِحُسْنِ الظَّنِّ بِكَ والثِّقَةِ بِما عِنْدَكَ .

الترغيب في حسن الثناء

واصطناع المعروف

قال النبي صلى الله عليه وسلم : إذا أردتم أن تعلموا ما للعبد عند ربّه ، فانظروا ما يتبعه من حسن الثناء .

وكتبَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري : اعتبر بمنزلةك من الله بمنزلةك من الناس ، واعلم أن ما لك عند الله مثل ما للناس عندك .

وقيل لبعض الحكماء : ما أفادك الدهر ؟ قال : العلم به ؛ قيل : فما أحمدُ الأشياء ؟ قال : أن تبقى للإنسان احدىئة حسنة .

وقال بعض أهل التفسير في قول الله تعالى : واجعل لي لسان صدق في الآخرين . إنه أرادَ حسنَ الثناء من بعده .

وقال أكرمُ بن صَيْفِي : إِنَّمَا أَنْتُمْ أَخْبَارُهُ فَطَيَّبُوا أَخْبَارَكُمْ .
أخذ هذا المعنى حَبِيبُ الطَائِيُّ فقال :

وما ابنُ آدَمَ إِلَّا ذِكْرٌ صَالِحٌ ،
أَوْ ذِكْرٌ سَيِّئٌ يَسْرِي بِهَا الْكَلِمُ ،
أَمَّا سَمِعَتْ بِدَهْرٍ بَادٍ أُمَّتُهُ ،
جاءت بِأَخْبَارِهَا مِنْ بَعْدِهَا أُمَمٌ ؟

•
وقال أبو بكر محمد بن دُرَيْد :

وإنما المرءُ حديثٌ بعده ،
فكنْ حديثاً حسناً لمن وعى

•
وقالوا : الأيامُ مزارعُ ، فما زَرَعْتَ فيها حصدته .

•
ومن قولنا في هذا المعنى وغيره من مكارم الأخلاق :

يَا مَنْ تَجَلَّدَ لِلزَّمانِ ، أَمَا زَمَانُكَ مِنْكَ أَجَلَدُ ؟
سَلَّطَ نَهْاكَ عَلَى هَوَاكَ ، وَعُدَّ يَوْمُكَ لَيْسَ مِنْ غَدٍ
إِنَّ الحَيَاةَ مَزَارِعُ ، فَازْرَعْ بِهَا مَا شِئْتَ تَحْصُدْ
وَالنَّاسُ لَا يَبْقَى سِوَى آثَارِهِمْ ، وَالْعَيْنُ تَفْقَدُ

أَوْ مَا سَمِعْتُ مِنْ مَضَى ، هَذَا يُذَمُّ وَذَاكَ يُحْمَدُ
وَالْمَالُ إِنْ أَصْلَحَتْهُ يَصْلُحْ ، وَإِنْ أَفْسَدَتْ يَفْسُدْ

•
وَقَالَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ : مَا ادَّخَرَتْ الْآبَاءُ لِلْأَبْنَاءِ ،
وَلَا أَبَقَتْ الْمَوْتَى لِلْأَحْيَاءِ ، شَيْئاً أَفْضَلَ مِنْ اصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ
عِنْدَ ذَوِي الْأَحْسَابِ .

•
وَقَالُوا : تَرْيِيبُ الْمَعْرُوفِ^١ أَوْلَى مِنْ اصْطِنَاعِهِ ، لِأَنَّ
اصْطِنَاعَهُ نَافِلَةٌ ، وَتَرْيِيبُهُ فَرِيضَةٌ .

•
وَقَالُوا : أَحْيِ مَعْرُوفَكَ بِإِمَاتَةٍ ذَكَرَهُ ، وَعَظِّمَهُ
بِالتَّصْغِيرِ لَهُ .

•
وَقَالَتِ الْحَكَمَاءُ : مِنْ تَمَامِ كَرَمِ الْمُنْعِمِ التَّغَافُلُ عَنْ
حُجَّتِهِ ، وَالْإِقْرَارُ بِالْفَضِيلَةِ لِشَاكِرِ نِعْمَتِهِ .

•
وَقَالُوا : لِلْمَعْرُوفِ خِصَالٌ ثَلَاثٌ : تَعْجِيلُهُ وَسَوْرُهُ

١ تَرْيِيبُ الْمَعْرُوفِ : تَعْمِدُهُ وَانْمَاؤُهُ .

وَتَيْسِيرُهُ ، فَمَنْ أَخْلَّ بِوَاحِدَةٍ مِنْهَا فَقَدْ بَخَسَ الْمَعْرُوفَ حَقَّهُ ،
وَسَقَطَ عَنْهُ الشُّكْرُ .

وقيل لمُعَاوِيَةَ : أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : مَنْ كَانَتْ
لَهُ عِنْدِي يَدٌ صَالِحَةٌ ؛ قِيلَ : فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ ؛ قَالَ : فَمَنْ كَانَتْ
لِي عِنْدَهُ يَدٌ صَالِحَةٌ .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : مَنْ عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عِنْدَهُ
عَظُمَتْ مَوْؤُونَةُ النَّاسِ عَلَيْهِ ، فَإِنْ لَمْ يَقُمْ بِتِلْكَ الْمَوْؤُونَةِ
عَرَّضَ النِّعْمَةَ لِلزَّوَالِ .

أَبُو الْيَقْظَانِ قَالَ :

أَخَذَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ عُرْوَةَ بْنَ أُذَيْنَةَ أَخَا أَبِي بِلَالٍ
وَقَطَعَ يَدَهُ وَرِجْلَهُ وَصَلَبَهُ عَلَى بَابِ دَارِهِ ، فَقَالَ لِأَهْلِهِ وَهُوَ
مَصْلُوبٌ : انْظُرُوا إِلَى هَؤُلَاءِ الْمُؤَكَّلِينَ بِي فَأَحْسِنُوا إِلَيْهِمْ
فَإِنَّهُمْ أَضْيَافُكُمْ .

ابْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ حُمَيْدٍ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ : لَأَنْ أَقْضِيَ حَاجَةً
لِأَخٍ لِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ .

وقال إبراهيم بن السندي : قلتُ لرجلٍ من أهل الكوفة ،
 من وجوه أهلها ، كان لا يجِفُّ لِبْدُهُ ، ولا يستريحُ قلبُهُ ،
 ولا تسكن حركته في طلب حوائج الرجال ، وإدخال المرافق
 على الضعفاء ، فقلتُ له : أخبرني عن الحالة التي خَفَّفَتْ عنكَ
 النَّصَبَ ، وهَوَّنَتْ عليك التَّعَبَ في القيام بجوائج الناس ،
 ما هي ؟

قال : قد والله سَمِعْتُ تَغْرِيدَ الطَّيْرِ بِالْأَسْحَارِ ، في فُرُوعِ
 الأشجار ، وسمعتُ خَفَقَ أوتارِ الْعِيدَانِ ، وترجيعَ أصواتِ
 الْقِيَانِ ، فما طَرِبْتُ من صوتٍ قطَّ طَرَبِي من ثناءٍ حَسَنٍ
 بلسانٍ حَسَنٍ على رجلٍ قد أَحْسَنَ ، ومن شُكْرِ حُرٍّ مُنْعَمٍ
 حُرٍّ ، ومن شفاعَةِ مُحْتَسِبٍ اطَّالِبٍ شَاكِرٍ .
 قال إبراهيم : فقلتُ له : اللهُ أبوك ، لقد حَشِيتَ كَرَمًا .

إسماعيلُ بن مَسْرُورٍ عن جعفرِ بن محمد قال : إِنَّ اللهَ
 خَلَقَ خَلْقًا من رَحْمَتِهِ بِرَحْمَتِهِ لِرَحْمَتِهِ ، وهم الذين يَقْضُونَ
 الْحَوَائِجَ لِلنَّاسِ ، فمن اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ فَلْيَكُنْ .

الجود مع الاقلال

قال الله تبارك وتعالى فيما حكاه عن الأنصار : وَيُؤْثِرُونَ
عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ، وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : أَفْضَلُ الْعَطِيَّةِ مَا كَانَ
مِنْ مُعْسِرٍ إِلَى مُعْسِرٍ .

وقال عليه الصلاة والسلام : أَفْضَلُ الْعَطِيَّةِ جُهْدُ الْمُقِلِّ .

وقالت الحكماء : الْقَلِيلُ مِنَ الْقَلِيلِ أَحْمَدُ مِنَ الْكَثِيرِ
مِنَ الْكَثِيرِ .

أخذ هذا المعنى حبيبٌ فنظّمه في أبياتٍ كتب بها إلى
الحسن بن وهب الكاتب وأهدى إليه قلمي :

قَدْ بَعَثْنَا إِلَيْكَ ، أَكْرَمَكَ اللَّهُ ،

بشيءٍ ، فَكُنْ لَهُ ذَا قَبُولٍ

لَا تَقْسُهُ إِلَى نَدَى كَفِّكَ الْغَمْرَ ،

وَلَا نَيْدِكَ الْكَثِيرِ الْجَزِيلِ

وَاسْتَجِزْ قِلَّةَ الْهَدِيَّةِ مَسِي ؛
إِنَّ جُهْدَ الْمُقِلِّ غَيْرُ قَلِيلٍ

•
وَقَالُوا : جُهْدُ الْمُقِلِّ أَفْضَلُ مِنْ غِنَى الْمُكْثَرِ .

•
وَقَالَ صَرِيعُ الْغَوَانِي :

لَيْسَ السَّمَّاحُ لِمُكْثَرٍ فِي قَوْمِهِ ، لَكِنْ لِمُقْتَرٍ قَوْمِهِ الْمُتَجَمِّدِ

•
وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : مَا وَدِدْتُ أَنْ أَحَدًا وَلَدَتْنِي أُمُّهُ إِلَّا
أُمَّ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، تَبِعْتُهُ ذَاتَ يَوْمٍ وَأَنَا جَائِعٌ ،
فَلَمَّا بَلَغَ الْبَابَ التَفَتَ فَرَأَنِي ، فَقَالَ لِي : ادْخُلْ ، فَدَخَلْتُ ؛
فَفَكَّرَ حِينًا فَمَا وَجَدَ فِي بَيْتِهِ شَيْئًا إِلَّا نِجْيًا^١ كَانَ فِيهِ سَمْنٌ
مُرٌّ ، فَأَنْزَلَهُ مِنْ رَفٍّ لَهُمْ ، فَشَقَّقَهُ بَيْنَ أَيْدِينَا ، فَجَعَلْنَا نَلْعَقُ
مَا كَانَ فِيهِ مِنَ السَّمْنِ وَالرُّبِّ^٢ ، وَهُوَ يَقُولُ :

مَا كَلَّفَ اللَّهُ نَفْسًا فَوْقَ طَاقَتِهَا ؛
وَلَا تَجُودُ يَدٌ إِلَّا بِمَا تَجِدُ

١ النحي : الزق ، أو ما كان للسمن خاصة .

٢ رب السمن : ثقله الأسود .

وقيل لبعض الحكماء : مَنْ أجودُ الناس ؟ قال : مَنْ جادَ
من قِلَّةٍ ، وصانَ وجهَ السائلِ عن المَذَلَّةِ .

وقال حمادُ عجرد :

أورِقُ بخيرٍ تُؤمِّلُ للجَزِيلِ ، فما
تُرْجى الشَّمارُ ، إذا لم يُورِقِ العُودُ
بُثَّ النوالَ ولا تَمْنَعُكَ قِلَّتُهُ ،
فكلُّ ما سدَّ فقرًا ، فهو مَحْمُودُ
وللبَخِيلِ على أموالِهِ عِلٌّ
زرقُ العيونِ ، عليها أوجُهُ سُودُ

وقال حاتم :

أضاحِكُ ضيفي قبلَ إِنْزالِ رَحْلِهِ ،
ويُخْصِبُ عِنْدِي ، والمَحَلُّ جَدِيبُ
وما الخِصْبُ للأضيافِ أن يَكْثُرَ القَرى ،
ولكنَّما وَجْهُ الكَرِيمِ خَصِيبُ

وقال عبد الملك بن مروان : ما كنت أحبُّ أنَّ أحدًا
ولدني من العربِ إلا عُرُوة بن الوَرْدِ لقوله :

أَتَهْزَأُ مِنِّْي أَنْ سَمِنْتَ ، وَأَنْ تَرَى
 بِجِسْمِي مَسَّ الْجُوعِ ، وَالْجُوعُ جَاهِدُ
 لِأَنِّي امْرُؤٌ عَافٍ إِنَّا لِي شِرْكَةٌ ،
 وَأَنْتَ امْرُؤٌ عَافٍ إِنَّا لِكَ وَاحِدُ
 أَقْسَمُ جِسْمِي فِي جُسُومٍ كَثِيرَةٍ ،
 وَأَحْسُو قَرَّاحَ الْمَاءِ ، وَالْمَاءُ بَارِدُ

•
 وَمَنْ أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي الْجُودِ مَعَ الْإِفْلَالِ ، قَوْلُ أَبِي
 تَمَامٍ حَبِيبٍ :

فَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ رُوحِهِ ،
 لَجَادَ بِهَا ، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ سَائِلُهُ

•
 وَمَنْ أَفْرَطَ مَا قِيلَ فِي الْجُودِ ، قَوْلُ بَكْرِ بْنِ النَّطَّاحِ :

أَقُولُ لِمُرْتَادِ النَّدَى عِنْدَ مَالِكَ :
 تَمَسَّكَ بِجَدْوَى مَالِكَ وَصِلَاتِهِ
 فَتَنَى جَعَلَ الدُّنْيَا وَقَاءً لِعِرْضِهِ ،
 فَاسَدَى بِهَا الْمَعْرُوفَ قَبْلَ عِدَاتِهِ
 فَلَوْ خَذَلَتْ أَمْوَالُهُ جُودَ كَفِّهِ ،
 لِقَاسَمَ مَنْ يَرْجُوهُ شَطْرَ حَيَاتِهِ

وإن لم يَجْزُ في العُمُر قَسَمٌ لِمَالِكٍ ،
وَجَازَ لَهُ أَعْطَاهُ مِنْ حَسَنَاتِهِ
وَجَادَ بِهَا مِنْ غَيْرِ كُفْرٍ بِرَبِّهِ ،
وَأَشْرَكَهُ فِي صَوْمِهِ وَصَلَاتِهِ

•
وقال آخر في هذا المعنى وأحسن :

مَلَأَتْ يَدَيَّ مِنَ الدُّنْيَا مِرَاراً ،
وَمَا طَمِعَ الْعَوَازِلُ فِي اقْتِصَادِي
وَلَا وَجَبَتْ عَلَيَّ زَكَاةُ مَالٍ ؛
وَهَلْ تَجِبُ الزَّكَاةُ عَلَى الْجَوَادِ ؟

العطية قبل السؤال

قال سعيد بن العاصي : قَبَّحَ الله المعروفَ إن لم يكن ابتداءً من غير مسألة ، فالمعروف عوضٌ عن مسألة الرجل إذا بدل وجهه ، فقلبه خائفٌ ، وفرائضه ترتعدُ ، وجبينه يرشحُ ؛ لا يدري أيرجعُ بنجاحِ الطلبِ ، أم بسوءِ المُتَقَلِّبِ ؛ قد انتقع لونه ، وذهب دم وجهه . اللهمَّ فَإِنْ كَانَتْ الدُّنْيَا لَهَا عِنْدِي حَظٌّ فَلَا تَجْعَلْ لِي حَظًّا فِي الْآخِرَةِ .

وقال أكرم بن صيفي : كلُّ سؤالٍ وإن قلَّ أكثرُ من كلِّ نوالٍ وإن جلَّ .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأصحابه : من كانت له اليَّ منكم حاجةٌ فليَرْفَعْنَهَا في كتابٍ لأصونَ وجوهكم عن المسألة .

حبیب قال :

عطاؤك لا يَفْنَى ، وَيَسْتَغْرِقُ الْمُنَى ،
وَتَبَقَى وجوهُ الراغبين بِمائها

وقال حبيب أيضاً :

ذُلُّ السَّوَالِ شَجَا فِي الْحَلَقِ مُعْتَرِضٌ ،
مِنْ دُونِهِ شَرَقٌ مِنْ خَلْفِهِ جَرَّضٌ ،
مَا مَاءٌ كَفَّكَ ، إِنْ جَادَتْ وَإِنْ بَخِلَتْ ،
مِنْ مَاءٍ وَجْهِي ، إِذَا أَفْنَيْتُهُ ، عَوَضٌ ،
إِنِّي بِأَيْسَرِ مَا أَدْنَيْتَ مُنْبَسِطٌ ،
كَمَا بِأَكْثَرِ مَا أَقْصَيْتَ مُنْقَبِضٌ .



وقالوا : مَنْ بَدَلَ إِلَيْكَ وَجْهَهُ فَقَدْ وَفَّاكَ حَقَّ نِعْمَتِكَ .



وقالوا : أَكْمَلُ الْخِصَالِ ثَلَاثٌ : وَقَارٌ بِلَا مَهَابَةٍ ، وَسَمَاحٌ
بِلَا طَلَبٍ مُكَافَأَةٌ ، وَحِلْمٌ بَغَيْرِ ذُلٍّ .



وقالوا : السَّخِيُّ مَنْ كَانَ مَسْرُورًا بَبْدَلِهِ ، مَتَبَرِّعًا بِعَطَائِهِ ،
لَا يَلْتَمِسُ عَرَضَ دُنْيَا فَيَحْبِطَ عَمَلُهُ ، وَلَا طَلَبَ مَكَافَأَةٍ
فَيَسْقُطَ شُكْرُهُ ، وَلَا يَكُونُ مِثْلُهُ فِيمَا أُعْطِيَ مِثْلَ الصَّائِدِ
الَّذِي يُلْقِي الْحَبَّ لِلطَّائِرِ ، لَا يُرِيدُ نَفْعَهَا وَلَكِنْ نَفْعَ نَفْسِهِ .



١ الجرّض : الغصص ، أو الابتلاع بجهد .

نظرَ المنذرُ بنَ أبي سَبْرَةَ الى أبي الأسود الدَّؤلي ، وعليه قميصٌ مَرَقوعٌ ، فقال له : ما أَصْبَرَكَ على هذا القميص ؟

فقال له : رَبِّ مَمْلُوكٍ لَا يُسْتَطَاعُ فِرَاقُهُ .

فبعثَ إليه بِتَخْتٍ من ثيابٍ ؛ فقال أبو الأسود :

كساني ، ولم أَسْتَكَسِهِ ، فَحَمِدْتُهُ ،

أَخْ لَكَ يُعْطِيكَ الْجَزِيلَ وَنَاصِرُ

وإنَّ أَحَقَّ النَّاسِ ، إن كنتَ شَاكِرًا ،

بشُكْرِكَ من أعطاك والعِرْضُ وَافِرُ

وسأل معاويةُ صَعَصَعَةَ بنَ ضُوحَانَ : ما الجُودُ ؟ فقال :

التَبَرُّعُ بِالْمَالِ ، والعَطِيَّةُ قَبْلَ السُّؤَالِ .

ومن قولنا في هذا المعنى :

كَرِيمٌ عَلَى الْعِلَائِ ، جَزَلٌ عَطَاؤُهُ ،

يُنِيلُ ، وإن لم يُعْتَمَدْ لِسَوَالِ

وما الجُودُ مَنْ يُعْطِي إِذَا مَا سَأَلْتَهُ ،

ولكنَّ مَنْ يُعْطِي بغيرِ سُؤَالِ

وقال بشار العُقَيْلي^١ :

مَالِكِي يَنْشَقُّ عَنْ وَجْهِهِ الْجَدْبُ ،
كَمَا انشَقَّتِ الدُّجَى عَنْ ضِيَاءِ
فَتْجُوجِ السَّمَاءِ فَيُضْ يَدِيهِ ،
لِقَرِيبٍ وَنَازِحِ الدَّارِ نَائِي^٢ ،
لَيْسَ يُعْطِيكَ لِلرَّجَاءِ وَلَا الْخَوْفِ ،
وَلَكِنْ يَلِدُ طَعْمَ الْعَطَاءِ
لَا وَلَا أَنْ يُقَالَ شِمْتُهُ الْجُودُ ،
وَلَكِنْ طَبَائِعُ الْآبَاءِ

وقال آخر :

إِنَّ ، بَيْنَ السُّؤَالِ وَالْإِعْتِذَارِ ،
خُطَّةً صَعْبَةً عَلَى الْأَحْرَارِ

وقال حبيب :

لَنْ جَحَدْتُكَ مَا أُولَيْتَ مِنْ نِعَمٍ ،
إِنِّي لَفِي اللُّؤْمِ أَمْضَى مِنْكَ فِي الْكَرَمِ

١ قال بشار هذه الأبيات في عقبة بن سلم ونسبه فيها الى مالك احد اجداده .

٢ التجوج : شدة سيلان المطر .

أَنَسَى ابْتِسَامُكَ ، وَالْأَلْوَانُ كَاسْفَةً ،
تَبَسُّمَ الصُّبْحِ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ
رَدَدْتَ رَوْنَقَ وَجْهِ فِي صَحِيفَتِهِ ،
رَدَّ الصَّقَالُ بَهَاءَ الصَّارِمِ الْخَدَمِ
وَمَا أُبَالِي ، وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ ،
حَقَّقْتَ لِي مَاءَ وَجْهِ ، أَوْ حَقَّقْتَ دَمِي

استنجاح الحوائج

كانوا يستفتحون حوائجهم بركعتين ، يقولون فيهما : اللهم
بك أستنجح ، وباسمك أستفتح ، وبحمد نبيك إليك
أتوجه ؛ اللهم ذلّ لي صعوبته ، وسهّل لي حزنوته ،
وارزقني من الخير أكثر مما أرجو ، واصرف عني من الشر
أكثر مما أخاف .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : استعينوا على حوائجكم
بالتكتمان لها ، فإن كل ذي نعمة محسود .

وقال خالد بن صفوان : لا تطلبوا الحوائج في غير
حينها ، ولا تطلبوها من غير أهلها ، فإن الحوائج تطلب
بالرجاء وتذرك بالقضاء .

١ بالقضاء : أي بإتمامها ، والوفاء بها .

وقال : مِفْتَاحُ نُجُوحِ الْحَاجَةِ الصَّبْرُ عَلَى طَوْلِ الْمَدَّةِ ،
وَمِغْلَاقُهَا اعْتِرَاضُ الْكَسَلِ دُونَهَا .

قال الشاعر :

إِنِّي رَأَيْتُ ، وَفِي الْأَيَّامِ تَجْرِبَةً ،
لِلصَّبْرِ عَاقِبَةً مَحْمُودَةً الْأَثَرِ
وَقُلٌّ مِنْ جَدٍّ فِي أَمْرٍ يُحَاوِلُهُ ،
فَاسْتَصْحَبَ الصَّبْرَ ، إِلَّا فَازَ بِالظَّفَرِ

ومن أمثال العرب في هذا : مَنْ أَدَمَّنْ قَرْعَ الْبَابِ
يُوشِكُ أَنْ يُفْتَحَ لَهُ .

أَخَذَ الشَّاعِرُ هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ :

لَا تَيَأْسَنَّ ، وَإِنْ طَالَتْ مُطَالَبَةٌ ،
إِذَا تَضَاقَقَ أَمْرٌ أَنْ تَرَى فَرْجًا
أَخْلَقَ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَى بِحَاجَتِهِ ،
وَمُدَّ مِنْ الْقَرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلِجَا

وقال خالد بن صفوان : قَوَتْ الْحَاجَةُ خَيْرٌ مِنْ طَلَبِهَا
إِلَى غَيْرِ أَهْلِهَا ، وَأَشَدُّ مِنَ الْمُصِيبَةِ سُوءُ الْخَلْفِ مِنْهَا .

وقالوا : صاحبُ الحاجة مَبْهُوتٌ ، وطَلَبُ الحوائجِ
كلَّها تَعْزِيرٌ^١ .



وقالتِ الحكماءُ : لا تطلبُ حاجتك من كَذَّابٍ ، فإنه
يُقرَّبُها بالقولِ ، ويُبعدُها بالفعلِ ؛ ولا من أحمقٍ فَإِنَّهُ يريدُ
نفعَكَ فيضرُّكَ ؛ ولا من رجلٍ له أُكْلَةٌ من جهةِ رجلٍ ،
فإنه لا يؤثرُ حاجتك على أُكْلته .



وقال دُعْبَلُ بْنُ عَلِيٍّ الخُزَاعِيُّ :
جِئْتُكَ مُسْتَرْفِداً بلا سَبَبٍ إِلَيْكَ ، إِلَّا بِجُرْمَةِ الأَدَبِ
فاقْضِ ذِمَّامِي ، فَإِنَّنِي رَجُلٌ غَيْرُ مُلِحٍّ عَلَيْكَ فِي الطَّلَبِ .



وقال شَيْبِ بْنِ شَيْبَةَ : إِنِّي لأَعْرِفُ أَمْرًا لَا يَتَلَقَى بِهِ
اِثْنَانِ إِلَّا وَجِبَ النَّشْجُحُ بَيْنَهُمَا ؛ قِيلَ لَهُ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ :
العَقْلُ ، فَإِنَّ العَاقِلَ لَا يَسْأَلُ مَا لَا يُمَكِّنُ ، وَلَا يَرُدُّ
عَمَّا يُمَكِّنُ .



١ تعزير : تشديد .

وقال الشاعر :

أَتَيْتُكَ لَا أُدِي بِقُرْبَى وَلَا يَدِ
إِلَيْكَ ، سَوَى أَنِّي بِجُودِكَ وَاثِقٌ
فَإِنْ تُؤَلِّينِي عُرفاً أَكُنْ لَكَ شَاكِراً ؛
وَإِنْ قُلْتَ لِي عُذْراً أَقُلَّ أَنْتَ صَادِقٌ

وقال الحَسَنُ بن هَانِي :

فَإِنْ تُؤَلِّينِي مِنْكَ الْجَمِيلَ فَأَهْلُهُ ،
وإِلَّا فِإِنِّي عَاذِرٌ وَشَكُورٌ

وقال آخر :

لَعَمْرُكَ مَا أَخْلَقْتُ وَجْهاً بَدَلَتْهُ
إِلَيْكَ ، وَلَا عَرَضَتْهُ لِّلْمَعَايِرِ
فَتَى وَفَرْتُ أَيْدِي الْمَكَارِمِ عِرْضَهُ
عَلَيْهِ ، وَخَلَّتْ مَالَهُ غَيْرَ وَافِرٍ ١

ودخل محمد بن واسع على بعض الأمراء ، فقال : أَتَيْتُكَ

١ وفرت عرضه : صاته .

في حاجةٍ فإن سئلتَ قضيتها وكُنَّا كريمين ، وإن سئلتَ لم
تَقْضِها وكُنَّا لئيمين .

أراد إن قضيتها كنتَ أنتَ كريماً بقضائها ، وكنتُ أنا
كريماً بسؤالك إياها ، لأنني وضعتُ الطَّلِبَةَ في مَوْضِعِها . فإن
لم تَقْضِها كنتَ أنتَ لئيماً بمنعك ، وكنتُ أنا لئيماً بسؤو
اختياري لك .

وسرق حبيبٌ هذا المعنى فقال :

عِيَّاشُ ! إِنَّكَ لِللَّئِيمِ ، وَإِنِّي ، إِذِ صِرْتَ مَوْضِعَ مَطْلَبِي ، لِلئِيمِ



ودخل سَوَّارُ الْقَاضِي عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ صَاحِبِ خُرَّاسَانَ
فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرُ :

لَنَا حَاجَةٌ ، وَالْعُذْرُ فِيهَا مُقَدَّمٌ ،

خَفِيفٌ مُعْنَاهَا ، مُضَاعَفَةٌ الْأَجْرِ

فَإِنْ تَقْضِهَا ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ ،

وَإِنْ عَاقَ مَقْدُورٌ ، فَفِي أَوْسَعِ الْعُذْرِ

قال له : ما حاجتك أبا عبد الله ؟

قال : كِتَابٌ لِي إِنْ رَأَى الْأَمِيرُ ، أَكْرَمَهُ اللَّهُ ، أَنْ

يُنْفِذَهُ فِي خَاصَّتِهِ ، كَتَبَهُ إِلَى مُوسَى بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي
تَعْجِيلِ أَرْزَاقِي .

قَالَ : أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ نَعْبُجُّهَا لَكَ مِنْ مَالِنَا ؟
وَإِذَا وَدِدْتَ كُنْتَ مُخَيَّرًا بَيْنَ أَنْ تَأْخُذَ أَوْ تَرُدَّ .
فَأَنشَدَ سَوَّارٌ يَقُولُ :

فَبَابُكَ أَيْمَنُ أَبْوَابِهِمْ ، وَدَارُكَ مَاهُولَةٌ عَامِرَةٌ
وَكَفُّكَ ، حِينَ تَرَى الْمُجْتَدِينَ ، أُنْدَى مِنَ اللَّيْلِ الْمَاطِرَةِ
وَكَلْبُكَ آنَسُ بِالْمُعْتَفِينَ مِنَ الْأُمِّ بِابْنَتِهَا الزَّائِرَةِ ١

وَدَخَلَ أَبُو حَازِمٍ الْأَعْرَجُ عَلَى بَعْضِ أَهْلِ السُّلْطَانِ ،
فَقَالَ : أَتَيْتُكَ فِي حَاجَةٍ رَفَعْتُهَا إِلَى اللَّهِ قَبْلَكَ ، فَإِنْ يَأْذَنُ اللَّهُ
فِي قَضَائِهَا قَضَيْتَهَا وَحَمِدْنَاكَ ، وَإِنْ لَمْ يَأْذَنْ فِي قَضَائِهَا لَمْ
تَقْضِهَا وَعَدَّ رْنَاكَ .

وَفِي بَعْضِ الْحَدِيثِ : اطْلُبُوا الْحَوَائِجَ عِنْدَ حَسَنِ الْوُجُوهِ .
أَخَذَهُ الطَّائِيُّ فَنَظَّمَهُ فِي شَعْرِهِ فَقَالَ :

قَدْ تَأَوَّلْتُ فِيكَ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ، إِذْ قَالَ مُفْصِحًا إِفْصَاحًا :

١ هذا الشعر لنصيب .

إِنْ طَلَبْتُمْ حَوَائِجًا عِنْدَ قَوْمٍ ، فَتَنْتَقُوا لَهَا الْوُجُوهَ الصَّابِحَا
فَلَعَمْرِي ، لَقَدْ تَنْقَيْتُ وَجْهًا مَا بِهِ خَابَ مَنْ أَرَادَ التَّجَاحَا

قال المنصور لرجل دخل عليه : سَلْ حاجتك .

قال : يُبْقِيكَ اللهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

قال : سَلْ حاجتك ، فَإِنَّكَ لَسْتَ تَقْدِرُ عَلَى مِثْلِ هَذَا
الْمَقَامِ فِي كُلِّ حِينٍ .

قال : وَاللهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَسْتَقْصِرُ عُمْرَكَ ، وَلَا
أُخَافُ بِخُلُوكِ ، وَإِنَّ عَطَاءَكَ لَشَرَفٌ ، وَإِنَّ سَوَالِكَ لَزَيْنٌ ،
وَمَا بَأَمْرِي بِذَلِكَ إِلَيْكَ وَجْهَهُ تَقْصُ وَلَا شَيْنٌ .
فَوَصَلْهُ وَأَحْسِنْ إِلَيْهِ .

استنجاز المواعيد

من أمثالهم في هذا : أَنْجَزَ حُرًّا مَا وَعَدَ .

وقالوا : وَعَدُ الْكَرِيمِ نَقْدٌ ، وَوَعْدُ اللَّيْمِ تَسْوِيفٌ .

وقال الزُّهري : حَقِيقٌ عَلَى مَنْ أَوْرَقَ بَوَعْدٍ أَنْ يُشْمِرَ بِفِعْلٍ .

وقال الْمُغِيرَةُ : مَنْ أَخَّرَ حَاجَةً فَقَدْ ضَمِنَهَا .

وقال الْمُؤَبِّدَانِ الْفَارِسِيُّ : الْوَعْدُ السَّيِّئَةُ ، وَالْإِنْجَازُ الْمَطْرُ .

وقال غيره : الْمَوَاعِيدُ رُؤُوسُ الْحَوَائِجِ ، وَالْإِنْجَازُ أَبْدَانُهَا .

وقال عبد الله بن عمر : خُلِفَ الْوَعْدِ ثَلَاثُ النَّفَاقِ ، وَصِدْقُ الْوَعْدِ ثَلَاثُ الْإِيمَانِ ، وَمَا ظَنَنْتُكَ بِشَيْءٍ جَعَلَهُ اللَّهُ

تعالى مِدْحَةً فِي كِتَابِهِ ، وَفَخِرّاً لِأَنْبِيَائِهِ ، فَقَالَ تَعَالَى : وَاذْكُرْ
فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ .

•
وَذَكَرَ جَبَّارُ بْنُ سَلَمَى عَامِرَ بْنَ الطُّفَيْلِ ، فَقَالَ : كَانَ
وَاللَّهِ إِذَا وَعَدَ الْخَيْرَ وَفِي ، وَإِذَا أَوْعَدَ بِالشَّرِّ أَخْلَفَ ،
وَهُوَ الْقَائِلُ :

وَلَا يَرْهَبُ ابْنُ الْعَمِّ ، مَا عِشْتُ ، صَوْلَتِي ،
وَيَأْمَنُ مِثِّي صَوْلَةُ الْمُتَهَدِّدِ
وِإِنِّي ، وَإِنْ أَوْعَدْتُهُ ، أَوْ وَعَدْتُهُ ،
لَيْكَذِبُ إِيْعَادِي وَيَصْدُقُ مَوْعِدِي

•
وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَازِمٍ :

إِذَا قُلْتَ فِي شَيْءٍ : « نَعَمْ » فَاتِمِّمْهُ ،
فَإِنَّ نَعْمَ دِينَ عَلَى الْحُرِّ وَاجِبٌ
وِإِلَّا فَقُلْ : « لَا » تَسْتَرِحْ وَتُزِحْ بِهَا ،
لَوْلَا يَقُولُ النَّاسُ إِنَّكَ كَاذِبٌ

•
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي خُلْفِ الْوَعْدِ إِلَّا قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : يَا

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ . كَسِبَ الْمُقْتَاتُ
عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ؛ لَكْفَى .

وقال عُمرُ بنُ الحارثِ : كانوا يَفْعَلُونَ ولا يَقُولُونَ ، ثم
صاروا يَقُولُونَ وَيَفْعَلُونَ ، ثم صاروا يَقُولُونَ ولا يَفْعَلُونَ ، ثم
صاروا لا يَقُولُونَ ولا يَفْعَلُونَ : فزعم أنهم ضنُّوا بالكذبِ
فضلاً عن الصدقِ .

وفي هذا المعنى يقولُ الحسنُ بنُ هانئٍ :

قال لي : تَرْضَى بوعْدِ كاذبٍ ؟
قلتُ : إِنْ لَمْ يَكْ سَحْمٌ فَنَفْسٌ^١

ومثله قولُ عَبَّاسِ بنِ الأَحنَفِ ، ويُقالُ إِنَّهُ لمُسلمُ بنُ الوليدِ ،
صريحُ الغواني :

ما ضَرَّ مَنْ شَغَلَ الفؤَادَ بِبُخْلِهِ ،
لو كان عَلَّني بوعْدِ كاذبٍ

١ النفس : الصوف المنفوش .

صبراً عليك ، فما أرى لي حيلةً ،
إلاّ التمسك بالرجاء الخائب

سأمت من كمدٍ ، وتبقى حاجتي ،
فيما لديك ، وما لها من طالب



قال عبد الرحمن ابن أمّ الحَكَم لعبد الملك بن مروان في
مواعيدَ وَعَدَها إياه فَمَطَله بها : نحن إلى الفِعْلِ أحوجُ منا
إلى القول ، وأنت بالإنجازِ أولى منك بالمَطَلِ ، واعلم أنك لا
تستحقُّ الشكرَ إلاّ بإنجازِك الوعد واستتمامك المعروف .



القاسمُ بنُ معن المَسعوديَّ قال : قلتُ لعيسى بن موسى :
أيها الأميرُ ، ما انتفعتُ بك منذ عرفتُك ، ولا أوصلتُ لي
خيراً منذ صَحبتك .

قال : ألم أكلمك أمير المؤمنين في كذا وأسأله لك كذا؟
قال : قلت : بلى ، فهل استنجزت ما وعدت ، واستتممت
ما بدأت ؟

قال : حال من دون ذلك أمورٌ قاطعةٌ ، وأحوالٌ عاذرة .
قلت : أيها الأمير ، فما زدتَ على أن نَبَّهتَ العجزَ من
رَقَدَتِه ، وأثرتَ الحُزنَ من رِبْضَتِه ، إنَّ الوعدَ إذا لم

يَشْفَعُهُ إِنْجَارُهُ يُحَقِّقُهُ ، كَانَ كَلْفِظٍ لَا مَعْنَى لَهُ ، وَجِسْمٍ لَا
رُوحَ فِيهِ .

•
وَقَالَ عَبْدُ الصَّمَدِ بْنِ الْفَضْلِ الرَّقَاشِيُّ لِحَالِدِ بْنِ دَنَسَمٍ ،
عَامِلِ الرَّيِّ :

أَخَالِدُ ! إِنَّ الرَّيَّ قَدْ أَجْحَفْتُ بِنَا ،
وَضَاقَ عَلَيْنَا رَحْبُهَا وَمَعَاشُهَا
وَقَدْ أَطْمَعْتُنَا مِنْكَ يَوْمًا سَحَابَةٌ
أَضَاءَتْ لَنَا بَرْقًا ، وَأَبْطَأَ رَشَاشُهَا
فَلَا غَيْمُهَا يَصْحُو فَيُئَيِّسُ طَامِعًا ،
وَلَا مَأْوَاهَا يَأْتِي فَتُرْوَى عِطَاشُهَا

•
وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ سَلَمٍ : وَعَدَ أَبِي بَشَّارٌ الْعُقَيْلِيُّ حِينَ مَدَحَهُ
بِالْقَصِيدَةِ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

صَدَّتْ بَجْدٌ وَجَلَّتْ عَنْ خَدٍّ ، ثُمَّ انْتَنَتْ كَالنَّفْسِ الْمُرْتَدِّ
فَكُتِبَ إِلَيْهِ بِشَّارٌ بِالْعَدِّ :

مَا زَالَ مَا مَنِّيتَنِي مِنْ هَمِّي ، وَالْوَعْدُ غَمٌّ فَأَرِحْ مِنْ غَمِّي
إِنْ لَمْ تُرِدْ حَمْدِي فِرَاقِي دَمِي

١ قوله : يئس خطأ ، والصواب : يؤس ، لأن الياء الساكنة تقلب واوًا
بعد الضمة .

فقال له أبي : يا أبا معاذ ، هلاَّ استنجحتَ الحاجةَ بدونِ الوعيدِ ؟ فإذا لم تفعل فترَبِّصْ ثلاثاً وثلاثاً ، فإنِّي والله ما رَضِيتُ بالوعدِ حتى سمعتُ الأبرشَ الكَلْبِيَّ يقول لهشام : يا أميرَ المؤمنين ، لا تَصنعْ إليَّ معروفاً حتى تَعِدَنِي ، فإنه لم يَأْتَنِي منك سَيِّبٌ على غيرِ وَعْدٍ إلا هان علي قَدْرُهُ ، وقلَّ مِنِّي شُكْرُهُ ، قال له هشام : لئن قلتَ ذلك لقد قاله سيِّدُ أَهْلِكَ أبو مُسلم الخَوْلانيّ : إنّ أَوْقعَ المعروفِ في القلوبِ ، وأَبْرَدَه على الأكبادِ ، معروفٌ مُنتَظَرٌ ، بوعْدٍ لا يُكَدِّرُهُ المَطْلُ .

وكان يحيى بنُ خالد بن برمك لا يقضي حاجةً إلا بوعْدٍ ، ويقول : من لم يَبْدَتْ على سُرورِ الوعدِ لم يَجِدْ للصَّنِيعَةِ طَعِماً .

وقالوا : الخُلْفُ أَلَمٌ مِنَ البُخْلِ ، لأنه من لم يفعلِ المعروفَ لَزِمَهُ ذمُّ اللؤمِ وحده ، ومن وَعَدَ وأخْلَفَ لَزِمَهُ ثلاثُ مذمَّاتٍ : ذمُّ اللؤمِ ، وذمُّ الخُلْفِ ، وذمُّ الكَذِبِ .

قال زيادُ الأعجم :

للهِ دَرَكٌ مِنْ فَتًى ، لو كنتَ تفعلُ ما تقولُ
لا خَيْرَ في كَذِبِ الجوادِ ، وَحَبْذا صِدْقُ البَخِيلِ

استبطاً حبيبُ الطائيُّ الحسن بن وهبٍ في عِدَّةٍ وعدّها
إياه ، فكتب إليه أبياتاً يستعجلُ بها ، فبعثَ إليه بألفِ درهمٍ ،
وكتب إليه :

أعجَلْتَنَا فَأَتَاكَ عاجِلُ برِّنا مُقَلَّاً ، ولو أَخَّرْتَهُ لم يَقْلِلِ
فخذ القليل وكن كمن لم يسأل ، ونكونُ نحن كأننا لم نفعلِ

وقال عبد الله بن مالك الحزاعي : دخلتُ على أميرِ المؤمنين
المهديّ وعنده ابنُ دَابٍ وهو يُنشد قولَ الشَّماخ :

وَأَشْعَثَ قَدْ قَدَّ السَّفَارُ قَمِيصَهُ ،
يَجْرُ شَوَاءً بِالْعَصَا ، غَيْرَ مُنْضَجٍ ١

دَعَوْتُ إِلَى مَا نَابَنِي ، فَأَجَابَنِي
كَرِيمٌ مِنَ الْفَتَيَانِ ، غَيْرُ مُزَلَّجٍ ٢

فَتَنَى يَمْلَأُ الشَّيْزَى ، وَيُرْوِي سِنَانَهُ ،
وَيَضْرِبُ فِي رَأْسِ الْكَمِيِّ الْمُدَجَّجِ ٣

١ الاشعث : المغبر الشعر المتلبده . السفار : السفر .

٢ المزلاج : البخيل ، والناقص المروءة .

٣ الشيزى : اراد بها الجفنة المصنوعة من الخشب الاسود المسمى بالشييزى ،
الكمي : المتكمي ، المتستر بالاسلاح . المدجج : الكاهل السلاح .

فَتَسَى لَيْسَ بِالرَّاضِي بِأَدْنَى مَعِيشَةٍ ،
وَلَا فِي بُيُوتِ الْحَيِّ بِالْمُتَوَلِّجِ ١

فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى الْمَهْدِيِّ وَقَالَ : هَذِهِ صِفَتُكَ أبا الْعَبَّاسِ .
فَقُلْتُ : بَكَ نِلْتُمُهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

فَضَحَكَ لِي وَقَالَ : هَلْ تُنْشِدُ مِنَ الشَّعْرِ شَيْئًا ؟
قُلْتُ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

قَالَ : فَأَنْشِدْنِي .

فَأَنْشَدْتُهُ قَوْلَ السَّمَوَالِ :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْنَسْ مِنَ اللَّوْمِ عَرَضُهُ ،
فَكُلُّ رِذَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلٌ

وَإِنْ هُوَ لَمْ يَحْمِلْ عَلَى النَّفْسِ ضَمِيمَهَا ،
فَلَيْسَ إِلَى حُسْنِ الثَّنَاءِ سَبِيلٌ

إِذَا الْمَرْءُ أَعْيَبَتْهُ الْمُرُوءَةُ يَافِعًا ،
فَمَطْلُبُهَا ، كَهَلًا ، عَلَيْهِ ثَقِيلٌ

تُعَيِّرُنَا أَتَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا
فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْكِرَامَ قَلِيلٌ

وَمَا ضَرَرْنَا أَتَا قَلِيلٌ ، وَجَارُنَا
عَزِيزٌ ، وَجَارُ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلٌ

وَنَحْنُ أَنْاسُ لَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً ،
إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُولُ

يُقَرِّبُ حُبُّ الْمَوْتِ آجَالَنا لَنَا ،
وَتَكَرَّرَهُهُ آجَالُهُمْ فَتَطُولُ

وَمَا مَاتَ مَنَّا سَيِّدٌ حَتْفَ أَنْفِهِ ،
وَلَا طُلَّ مَنَّا ، حَيْثُ كَانَ ، قَتِيلُ

تَسِيلُ ، عَلَى حَدِّ السِّیُوفِ ، نَفُوسُنَا ،
وَلَيْسَتْ ، عَلَى غَيْرِ السِّیُوفِ ، تَسِيلُ

وَنُنْكَرُ ، إِنْ شِئْنَا ، عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ ،
وَلَا يُنْكَرُونَ الْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ

فَنَحْنُ كَمَاءِ الْمُزْنِ مَا فِي نِصَابِنَا
كَهَامٌ ، وَلَا فِينَا يُعَدُّ بِخَيْلٍ

وَأَسْيَافُنَا فِي كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرَبٍ ،
بِهَا مِنْ قِرَاعِ الدَّارَعِينَ قُلُولُ

فَقَالَ : أَحْسَنْتَ ! اجلس ، بهذا بلغتم ، سَلْ حاجتك .
قلت : يا أمير المؤمنين ، تكتب لي في العطاء ثلاثين رجلاً
من أهلي .

١ الكهـام : الكلـیل الحد .

قال : نعم ، فرضُ عليّ إذا وعدتُ .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، إنك متمكّن من القدرة وليس
دونك حاجزٌ عن الفعل ، فما معنى العِدّة ؟
فنظر الى ابن دأبٍ كأنه يريد منه كلاماً في فضل الموعد ؛
فقال ابن دأب :

حلاوةُ الفعلِ بوعدٍ يُنجِزُ ، لا خيرَ في العُرْفِ كنهبٍ يُنهزُ
فضحك المهديّ وقال :

الفِعْلُ أحسنُ ما يكونُ ، إذا تقدّمهُ ضَمَانُ

وقال المهلب بن أبي صفرة لبنيه : يا بنيّ ، إذا غدا
عليكم الرجلُ وراح مُسلِّماً فكفى بذلك تقاضياً .

وقال الشاعر :

أروحُ بتَسْلِيمِي عليك ، واغتدي ،
وحَسْبُكَ بالتَّسْلِيمِ مِنِّي تقاضياً

وقال آخر :

كفاكَ مُخْبِراً وَجْهِي بِشَانِي ،
وَحَسْبُكَ أَنْ أَرَاكَ وَأَنْ تَرَانِي

وما ظَنِّي بمن يَعْنِيهِ أَمْرِي ،
وَيَعْلَمُ حَاجَتِي ، وَيَرَى مَكَانِي

كتب العتّابي الى بعض أهل السلطان : أما بعدُ ، فإنَّ
سحائبَ وَعْدِكَ قد أبرقت ، فليكنَ وَبْلِهَا سالماً من عِلَلِ
المَطْلِ ، والسلام .

وكتب الجاحظُ إلى رجلٍ وعده : أما بعدُ ، فإنَّ شجرة
وَعْدِكَ قد أوردقت ، فليكنَ ثمرُها سالماً من جوائحِ المَطْلِ ،
والسلام .

ووعده عبدُ الله بن طاهرٍ دُعْبَلًا بَغْلَامٍ ، فلما طالَ عليه
تصدّي له يوماً ، وقد ركبَ إلى بابِ الخاصّةِ ، فلما رآه قال :
أسأتَ الاقتضاءَ ، وجهلتَ المأخذَ ، ولم تُحسِنِ النظرَ ،
ونحنُ أولى بالفضلِ ، فلكَ الغلامُ والدابةُ حينما نزلُ إن
شاء الله تعالى . فأخذ دُعْبَلٌ بعنانه وأنشده :

يا جَوَادَ اللسانِ من غيرِ فِعْلٍ ،
ليتَ في راحتيك جودَ اللسانِ

عَيْنَ مِهْرَانَ قَدْ لَطَمْتَ مِرَاراً ،
 فَاتَّقِي ذَا الْجَلَالِ فِي مِهْرَانٍ ١
 عُرْتُ عَيْنًا فَدَعِ لِمِهْرَانَ عَيْنًا ،
 لَا تَدَعِهِ يَطُوفُ فِي الْعَمِيَانِ

قال : فنزل له عن دابته ، وأمر له بالغلام .

وسأل خلف بن خليفة أبان بن الوليد جاريةً فوعده بها ،
 وأبطأت عليه ، فكتب إليه :

أرى حاجتي عند الأمير ، كأنها
 تهمُّ زماناً عنده بمقامٍ
 وأحضرُ عن إذكاره ، إن لقيته ،
 وصدقُ الحياءِ مُلجِمٌ بلجامٍ
 أراها إذا كان النهارُ نسيئةً ،
 وبالليل تُقضى عند كلِّ منامٍ
 فيا ربَّ أخرجها ، فإنك مخرجٌ
 من الميت حياً ، مُفصِحاً بكلامٍ

١ في قوله : عين مهران قد لطمت ، إشارة الى المثل القائل : هو يلطم عين
 مهران ، اي يكذب .

فَتَعْلَمَ مَا تُشْكِرِي ، إِذَا مَا قَضَيْتَهَا ،
وَكَيْفَ صَلَاتِي عِنْدَهَا وَصِيَامِي

وكتب أبو العتاهية إلى رجلٍ وعده بعِدة ومطله بها :
لا جعلَ الله لي إليك ، ولا عندك ، ما عِشتُ ، حاجةً أبدا
ما جِئتُ في حاجةٍ أُسرُّ بها إلا تَثاقلتَ ثم قلتَ : غدا

وكتب دُعبل إلى رجلٍ وعده وعداً وأخلفه :
أَحْسِبْتَ أَرْضَ اللَّهِ ضَيْقَةً عَنِّي ، فَأَرْضُ اللَّهِ لَمْ تَضِقْ
وجعلتني فقعاً بقرقرة ، فَوَطِئْتَنِي وَطِئاً عَلَى حَنْقٍ^١
فإذا سألتك حاجةً أبداً ، فاضرب لها قفلاً على غلقِ
وأعدَّ لي غلاً وجامعةً ، فاجمعْ يديَّ بها إلى عُنُقِي^٢
ما أطولَ الدنيا وأوسعها ، وأدَلَّنِي بِمَسَالِكِ الطَّرُقِ

١ الفقع : البيضاء الرخوة من الكمأة . القرقرة : الأرض المطمئنة اللينة . اخذ
قوله هذا من المثل القائل : هو اذل من فقع بقرقرة .
٢ الجامعة : الغل ، لأنها تجمع اليدين الى العنق .

ومن قولنا في رجلٍ كتبَ إليَّ بِعِدَةٍ في صحيفةٍ
ومطأني بها :

صحيفةٌ طابَعُها اللُّومُ ، عُنوانُها ، بالجهلِ ، مختومٌ
يُهدى لها ، والحلفُ في طيِّها ، والمطلُّ والتسويفُ واللُّومُ
من وجهه نحسُّ ، ومن قُربه رَجَسٌ ، ومن عِرفانه شومٌ
لا تهتضمُّ ، إن بَتَّ ضيفاً له ، فخبزُه في الجَوْفِ هاضومٌ^١
تسليمُه الأَخطُ من رِقَّةٍ ، فهُو ، بلحظِ العينِ ، مَكْلومٌ
لا تأتدِمُ شيئاً على أَكَله ، فإنَّه ، بالجُوعِ ، مأدومٌ

وقلت فيه :

صحيفةٌ كُتِبَتْ لِيَتْ بها وعسى ،
عُنوانُها راحةُ الرَّاجِي إذا يَنسَا
وَعَدُّه هاجسٌ في القلبِ ، قد بَرِمَتْ
أَحشاءُ صَدْرِي به من طولِ ما هَجَسَا
يراعةٌ غَرَّني منها وميضُ سَنَى ،
حتى مَدَدْتُ إِلَيْها الكَفَّ مُقْتَبِسَا

١ الهاضوم : كل دواء يساعد على هضم الطعام .

فصَادَفَتْ حَجَباً لَوْ كُنْتَ تَضْرِبُهُ ،
مِنْ لَوْمَةٍ ، بَعْضُ مُوسَى لَمَّا انْبَجَسَا
كَأَنَّمَا صِيغَ مِنْ بُجْلٍ وَمِنْ كَذِبٍ ،
فَكَانَ ذَاكَ لَهُ رَوْحاً وَذَا نَفْسَا

وقلت فيه :

رَجَاءٌ دُونَ أَقْرَبِهِ السَّحَابُ ،
وَوَعْدٌ مِثْلُ مَا لَمَعَ السَّرَابُ
وَتَسْوِيفٌ يَكِلُ الصَّبْرُ عَنْهُ ،
وَمَطْلٌ مَا يَقُومُ لَهُ حِسَابُ
وَأَيَّامٌ خَلَّتْ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ ،
وَدُنْيَا قَدْ تَوَزَّعَهَا الْكِيلَابُ

لطيف الاستمناح

قالت الحكماء : لطيف الاستمناح سبب النجاح ، والأنفُسُ
ربما انطلقت وانشرحت بلطيف السؤال ، وانقبضت وامتنعت
بحفاء السائل ، كما قال الشاعر :

وجفرتني ، فقطعتُ عنك فوائدي ،
كالدرِّ يَقْطَعُهُ جَفَاءُ الحالبِ

وقال العتّابي : إن طلبت حاجةً الى ذي سلطانٍ فأجمل
في الطلب إليه . وإياك والاحاح عليه ، فإنّ إلاحاك يَكْلِمُ
عِرْضَكَ ، ويُريقُ ماءَ وجْهِكَ ، فلا تأخذ منه عَوْضاً لما
يأخذُ منك ؛ ولعلّ الإلاحاح يجمعُ عليك إخلاقَ الوجه وحرمانَ
النجاح ، فإنه ربما ملّ المطلوبُ إليه حتى يستخفّ بالطالب .

وقال الحسنُ بن هانئ :

تأنّ مواعيدَ الكِرامِ ، فرُبما
حَمَلَتْ من الاحاحِ سَمْحاً على بُخْلِ

وقال آخر :

إِنْ كُنْتَ طَالِبَ حَاجَةٍ ، فَتَجَمَّلْ ،
فِيهَا بِأَحْسَنِ مَا طَلَبْتَ ، وَأَجْمَلْ
إِنَّ الْكَرِيمَ ، أَخَا الْمُرُوءَةِ وَالنَّهْيِ ،
مَنْ لَيْسَ فِي حَاجَاتِهِ بِمُثْقَلٍ

المدائنيّ قال : قَدِمَ قَوْمٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ
مَرْوَانَ ، فَقَالُوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، نَحْنُ بِمَنْ تَعْرِفُ ، وَحَقُّنَا
مَا لَا يُنْكَرُ ، وَجِئْنَاكَ مِنْ بَعِيدٍ ، وَنَمْتُ بِقَرِيبٍ ، وَمَهْمَا
تُعْطِنَا فَنَحْنُ أَهْلُهُ .

دَخَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحٍ عَلَى الرَّشِيدِ فَقَالَ : أَسْأَلُكَ بِالْقَرَابَةِ
وَالْخَاصَّةِ ، أَمْ بِالْخِلَافَةِ وَالْعَامَّةِ ؟
قَالَ : بَلْ بِالْقَرَابَةِ وَالْخَاصَّةِ .

قَالَ : يَدَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْعَطِيَّةِ أَطْلُقُ مِنْ
لِسَانِي بِالسَّأَلِ .

فَأَعْطَاهُ وَأَجْزَلَ لَهُ .

وَدَخَلَ أَبُو الرَّيَّانِ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَكَانَ عِنْدَهُ

أثيراً ، فرآه خائراً ، فقال : يا أبا الرِّيّان ، ما لك خائراً ؟
قال : أشكو إليك الشَّرَفَ يا أميرَ المؤمنين .

قال : وكيف ذلك ؟

قال : نُسألُ ما لا نَقْدِرُ عليه ونَعْتَذِرُ فلا نُعْذَرُ .

قال عبد الملك : ما أحسنَ ما استمنحتَ واعتَررتَ !
يا أبا الرِّيّان ! أعطوه كذا وكذا .

العتابي قال :

كتب الشَّعْبِيُّ إلى الحُجَّاجِ يسأله حاجةً ، فاعتلَّ عليه ،
فكتب إليه الشَّعْبِيُّ : والله لا عذرتُك وأنتَ والي العراقين ،
وابنُ عَظِيمِ القَريتين ؛ ففَضَى حاجته . وكان جَدُّ الحُجَّاجِ لأُمِّه
عُروَةَ بن مسعودٍ الثَّقَفِيُّ .

العتبيّ قال :

قدم عبدُ العزيز بنُ زُرارةَ الكِلَابِيُّ على أميرِ المؤمنين
مُعاوية ، فقال : إني لم أزل أَهْزُ ذَوائِبَ الرِّحالِ إليك ، فلم
أَجِدْ مُعوَّلاً إلا عليك ، أمتطي الليلَ بعدَ النهارِ ، وأسمُ
المجاهلَ بالآثارِ ، يقودني إليك أملٌ ، وتَسوقني بَلوى ، والمُجتهدُ

١ اعترت : طلبت المعروف .

يُعَذِّرُ ، وَإِذَا بَلَغْتُكَ فَقَطَّنِي ١ ؛ فقال : احطُطْ عَنْ رَاحِلَتِكَ رَحْلَهَا .

•
ودخل كُرَيْزُ بْنُ زُفَرٍ بْنُ الْحَارِثِ عَلَى يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، أَنْتَ أَعْظَمُ مَنْ أَنْ يُسْتَعَانَ بِكَ وَيُسْتَعَانَ عَلَيْكَ ، وَلَسْتَ تَفْعَلُ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا إِلَّا وَهُوَ يَصْغُرُ عَنْكَ وَأَنْتَ أَكْبَرُ مِنْهُ ، وَلَيْسَ الْعَجَبُ أَنْ تَفْعَلَ ، وَلَكِنَّ الْعَجَبَ أَنْ لَا تَفْعَلَ .

قال : سَلْ حَاجَتَكَ .
قال : قَدْ حَمَلْتُ عَنْ عَشِيرَتِي عَشْرَ دِيَاتٍ .
قال : قَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِهَا وَشَفَعْتُهَا بِمَثْلِهَا .

•
الْعُتْبِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ :
أَتَى رَجُلٌ إِلَى حَاتِمِ الطَّائِي فَقَالَ : إِنَّهَا وَقَعَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ قَوْمِي دِيَاتٌ فَاحْتَمَلْتُهَا فِي مَالِي وَأَمَلِي ، فَعَدِمْتُ مَالِي وَكُنْتُ أَمَلِي ، فَإِنْ تَحَمَّلَهَا عَنِّي فَرَبِّ هُمْ فَرَجَتَهُ ، وَغَمٌّ كَفَيْتَهُ ، وَدَيْنٌ قَضَيْتَهُ ؛ وَإِنْ حَالَ دُونَ ذَلِكَ حَائِلٌ لَمْ أَذُمَّ يَوْمَكَ ، وَلَمْ أَبْأَسْ مِنْ غَدِكَ . فَحَمَلَهَا عَنْهُ .

المدائنيّ قال :

سأل رجلٌ خالداً القسريّ حاجةً ، فاعتلّ عليه ؛ فقال له : لقد سألتُ الأميرَ من غيرِ حاجةٍ .

قال : وما دعاكَ إلى ذلك ؟

قال : رأيْتُكَ تُحِبُّ مَنْ لَكَ عنده حُسْنُ بلاءٍ ، فأردتُ أن أتعلّقَ منك بِحَبْلٍ مودّةٍ .
فوصلته وحباه وأدنى مكانه .

•

الأصمعيّ قال :

دخل أبو بكرٍ الهجريّ على المنصورِ ، فقال : يا أمير المؤمنين ، نغضُ فمي^١ ، وأنتم أهلَ البيتِ بركةٌ ، فلو أذنت لي فقبّلتُ رأسك .

قال : اختر منها ومن الجائزة .

فقال : يا أمير المؤمنين أهونُ عليّ من ذهابِ درهمٍ من الجائزةِ إلّا تَبَقَى حاكّةٌ^٢ في فمي .
فضحك المنصور وأمر له بجائزة .

•

١ نغض فمي : اي قلقت اسناني .

٢ الحاكّة : السن .

وذكروا أن جارا لابي دُلف ببغداد لزمه كبير دين فادح حتى احتاج إلى بيع داره ، فساوموه به ، فسألم ألفي دينار ، فقالوا له : إن دارك تساوي خمسمائة ؛ قال : وجواري من أبي دُلف بألف وخمسمائة . فبلغ أبا دُلف ، فأمر بقضاء دينه ، وقال له : لا تبع دارك ولا تنتقل من جوارنا .

ووقفت امرأة على قيس بن سعد بن عبادة ، فقالت : أشكو إليك قلة الجرذان ؛ قال : ما أحسن هذه الكناية ! املأوها بيتها خبزاً ولحماً وسمناً .

ابراهيم بن أحمد عن الشَّيباني قال :

كان أبو جعفر المنصور أيام بني أمية إذا دخل البصرة دخل مُستتراً ، فكان يجلس في حلقة أزهر السَّمان المُحدث ، فلما أفضت الخلافة إليه ، قدم عليه أزهر ، فرحَّب به وقربَه ، وقال له : ما حاجتك يا أزهر ؟

قال : داري مُتهدِّمةٌ ، وعليَّ أربعة آلاف درهم ، وأريد أن يَبني محمدُ ابني بعياله .

فوصله باثني عشر ألفاً ، وقال : قد قضينا حاجتك يا أزهر ، فلا تأتينا طالباً .

فأخذها وارتحل . فلما كان بعد سنةٍ أتاه ، فلما رآه أبو جعفر ، قال : ما جاء بك يا أزهر ؟

قال : جئتُك مُسَلِّمًا .

قال : إنه يقع في خلدِ أمير المؤمنين أنك جئتَ طالبًا .

قال : ما جئتُ إلا مُسَلِّمًا .

قال : قد أمرنا لك باثني عشر ألفاً ، واذهب فلا تأتينا طالباً ولا مُسَلِّمًا .

فأخذها ومضى . فلما كان بعد سنةٍ أتاه ، فقال : ما جاء بك يا أزهر ؟

قال : أتيتُ عائداً .

قال : إنه يقع في خلدِ أمير المؤمنين أنك جئتَ طالباً .

قال : ما جئتُ إلا عائداً .

قال : قد أمرنا لك باثني عشر ألفاً ، واذهب فلا تأتينا لا طالباً ولا مُسَلِّمًا ولا عائداً .

فأخذها وانصرف . فلما مضت السنة أقبل ، فقال له : ما جاء بك يا أزهر ؟

قال : دُعاء كنت أسمعُك تدعو به يا أمير المؤمنين ، جئتُ لا أكتبه .

فضحك أبو جعفر ، وقال : إنه دُعاء غير مُستجاب ،

وذلك أني قد دعوتُ الله تعالى به أن لا أراك فلم يستجب لي ، وقد أمرنا لك باثني عشر ألفاً ، فاذهب وتعال متى شئت فقد أعيّنتني فيك الحيلة .

أقبلَ أعرابيٌّ الى داود بن المهلب فقال له : إني مدحتك فاستمع .

قال : على رسلك .

ثم دخل بيته وتقلّد سيفه وخرج . فقال : قلْ ، فإن أحسنت حكّمناك ، وإن أسأت قتلناك .

فأنشأ يقول :

أمنتُ بدّاودَ وجودِ يمينه ،
من الحدّثِ المخشّيِّ والبؤسِ والفقرِ

فأصبحتُ لا أخشى بدّاودَ نبوةً ،
من الحدّثانِ ، إذ شدتُ به أزرِي

له حُكمُ لقمانٍ ، وصورةُ يوسفٍ ،
وملكُ سليمانٍ ، وعدلُ أبي بكرٍ

فقد تفرّقُ الأموالُ من جودِ كفه ،
كما يفرّقُ الشيطانُ من ليلةِ القدرِ

فقال : قد حكمتناك ، فإن شئتَ على قدرِكَ ، وإن
شئتَ على قدرِي .

قال : بل على قدرِي . فأعطاه خمسين ألفاً .
فقال له جلساؤه : هلاًّ احتكمتَ على قدرِ الأمير .
قال : لم يكُ في ماله ما يفي بقدرِه .
قال له داود : أنتَ في هذه أشعرُ منك في شعركِ .
وأمر له بمثل ما أعطاه .

الأصمعي قال : كنت عند الرشيدِ إذ دخل عليه إسحاق
ابن إبراهيم الموصلي فأنشده :

وآمرةٍ بالبُخلِ قلتُ لها اقصري ،
فليس إلى ما تأمرين سبيلُ
فعالي فعالُ المُكثرين تَجَمُّلاً ،
ومالي ، كما قد تعلمين ، قليلُ
فكيف أخافُ الفقرَ أو أحرَمُ الغني ،
ورأيُ أميرِ المؤمنين جميلُ !

فقال له الرشيد : لله أبياتٌ تأتينا بها ! ما أحسنَ أصولها ،
وأبين فصولها ، وأقلَّ فضولها ! يا غلام ، أعطه عشرين ألفاً .
قال : والله لا أخذتُ منها درهماً .

قال : ولم ؟

قال : لأنّ كلامك والله يا أمير المؤمنين خير من شعري .

قال : أعطوه أربعين ألفاً .

قال الأصمعي : فعلمتُ والله أنه أصيدُ لدراهمِ الملوك مني .

العُتبي عن أبيه قال :

قدّم زيد بن مُنية من البصرة على معاوية ، وهو أخو يعلى بن مُنية صاحبِ جملِ عائشة رضي الله عنها ومتولّي تلك الحروب ورأسِ أهلِ البصرة ، وكانت ابنةُ يعلى عند عُتبة بن أبي سفيان ، فلما دخل على معاوية شكّا دينه ، فقال : يا كعب ، أعطه ثلاثين ألفاً ؛ فلما ولّى قال : وليومِ الجملِ ثلاثين ألفاً ؛ ثم قال له : الحق بصهرك ، يعني عُتبة ، فقدم عليه مصر ، فقال : إني سرّتك إليك شهرين ، أخوضُ فيهما المتآلف ، ألبسُ أردية الليلِ مرةً ، وأخوضُ في الجلبِ السرابِ أخرى ، مؤقراً^١ من حسنِ الظنِّ بك ، وهارباً من دهرِ قَطمٍ^٢ ، ومن دينِ لزم ، بعد غنى جدّنا به أنوفَ الحاسدين .

١ مؤقراً : مزوداً ومحملاً .

٢ قَطم : صوّل .

فقال عُتْبَةُ : إِنَّ الدَّهْرَ أَعَارَكُمْ غِنًى ، وَخَلَطَكُمْ بِنَا ، ثُمَّ
اسْتَرَدَّ مَا أَمَكَّنَهُ أَخْذُهُ ، وَقَدْ أَبْقَى لَكُمْ مِنْهَا مَا لَا ضِيعَةَ مَعَهُ ،
وَأَنَا رَافِعٌ يَدَيَّ وَيَدَكَ بِيَدِ اللَّهِ .
فَأَعْطَاهُ سِتِينَ أَلْفًا كَمَا أَعْطَاهُ مَعَاوِيَةَ .

إِبْرَاهِيمُ الشَّيْبَانِيُّ قَالَ :

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ بْنُ سُوَيْدٍ بْنُ مَنْجُوفٍ :
أَعْدِمَ أَبِي إِعْدَامَةٍ شَدِيدَةٍ بِالْبَصْرَةِ وَأَنْفَضَ^١ ، فَخَرَجَ إِلَى
خُرَاسَانَ فَلَمْ يُصِْبْ بِهَا طَائِلًا ، فَبَيْنَا هُوَ يَشْكُو تَعَزُّزَ الْأَشْيَاءِ
عَلَيْهِ إِذْ عَدَا غَلَامُهُ عَلَى كُسُوتِهِ وَبَغْلَتِهِ فَذَهَبَ بِهِمَا . فَأَتَى أَبَا
سَاسَانَ حُضَيْنَ بْنَ الْمُنْذِرِ الرَّقَاشِيَّ فَشَكَا إِلَيْهِ حَالَهُ ؛ فَقَالَ
لَهُ : وَاللَّهِ يَا بَنَ أَخِي مَا عَمُّكَ مِنْ يَحْمِلٍ مُحَامِلِكَ ، وَلَكِنْ
لَعَلَّتِي أَحْتَالُ لَكَ .

فَدَعَا بِكُسُوتِهِ حَسَنَةً فَأَلْبَسَنِي إِيَّاهَا ، ثُمَّ قَالَ : امْضِ بِنَا ؛
فَأَتَى بَابَ الْوَالِي خُرَاسَانَ فَدَخَلَ وَتَرَكَنِي بِالْبَابِ ، فَلَمْ أَلْبِثْ
أَنْ خَرَجَ الْحَاجِبُ فَقَالَ : أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ سُوَيْدٍ ؟
فَدَخَلْتُ إِلَى الْوَالِي ، فَإِذَا حُضَيْنُ عَلَى فِرَاشٍ إِلَى جَانِبِهِ ،

١ أَنْفَضَ : هَلَكَ مَالُهُ وَفِي زَادِهِ .

فَسَلِّمْتُ عَلَى الْوَالِي ، فَرَدَّ عَلَيَّ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ خُضَيْنٌ فَقَالَ :
أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، هَذَا عَلِيُّ بْنُ سُوَيْدٍ بْنُ مَنْجُوفٍ سَيِّدُ
قَتِيَّانٍ بَكْرٍ بْنِ وَائِلٍ وَابْنُ سَيِّدِ كَهْلَهَا ، وَأَكْثَرُ النَّاسِ
مَالًا حَاضِرًا بِالْبَصْرَةِ ، وَفِي كُلِّ مَوْضِعٍ مَلَكَتْ بِهِ بَكْرُ بْنُ
وَائِلٍ مَالًا ، وَقَدْ تَحَمَّلَ بِي إِلَى الْأَمِيرِ فِي حَاجَةٍ .

قال : هي مَقْضِيَّةٌ .

قال : فَإِنَّهُ يَسْأَلُكَ أَنْ تَمُدَّ يَدَكَ فِي مَالِهِ وَمَرَاكِبِهِ وَسِلَاحِهِ
إِلَى مَا أَحْبَبْتَ .

قال : لَا وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ بِهِ ، نَحْنُ أَوْلَى بِزِيَادَتِهِ .

قال : فَقَدْ أَعْفَيْنَاكَ مِنْ هَذِهِ إِذْ كَرِهَتْهَا ، فَهُوَ يَسْأَلُكَ أَنْ
تُحَمِّلَهُ حَوَائِجَكَ بِالْبَصْرَةِ .

قال : إِنْ كَانَتْ حَاجَةٌ فَهُوَ فِيهَا ثِقَةٌ ، وَلَكِنْ أَسْأَلُكَ أَنْ
تَكَلِّمَهُ فِي قَبُولِ مَعُونَةٍ مِنَّا ، فَإِنَّا نَحْبُ أَنْ يُرَى عَلَى مِثْلِهِ
مِنْ أَثَرِنَا .

فَأَقْبَلَ عَلَيَّ أَبُو سَاسَانَ فَقَالَ : يَا أَبَا الْحُسَيْنِ ، عَزَمْتُ عَلَيْكَ
أَنْ لَا تَرُدَّ عَلَيَّ شَيْئًا أَكْرَمَكَ بِهِ .

فَسَكَتُ . فَعَدَا لِي بِمَالٍ وَدَوَابٍّ وَكِسَاوٍ وَرَقِيقٍ . فَلَمَّا
خَرَجْتُ قُلْتُ : أَبَا سَاسَانَ ، لَقَدْ أَوْقَفْتَنِي عَلَى خُطْبَةٍ مَا وَقَفْتُ
عَلَى مِثْلِهَا قَطْ .

قال : اذهب إليك يابن أخى ، فعمئك أعلم بالناس منك ،
إن الناس إن علموا لك غرارةً من مالٍ حشوا لك أخرى ،
وإن يعلموك فقيراً تعدوا عليك مع فقرِكَ .

إبراهيم الشَّيباني قال :

وُلد لأبي دُلامةَ ابنةٌ ليلًا فأوقد السَّراجَ وجعلَ يَخِيطُ
خَريطةً من سُقِّقٍ^١ ، فلما أَصْبَحَ طَواها بين أَصابعه وغدا بها
إلى المَهديِّ ، فاستأذنَ عليه ، وكان لا يُجِيبُ عنه . فأنشده :

لو كان يَقْعُدُ فوقَ الشَّمسِ من كَرَمٍ
قومٌ لَقِيلَ اقْعُدُوا يا آلَ عَبَّاسٍ

ثم ارتقوا من شُعاعِ الشَّمسِ في دَرَجٍ
إلى السَّماءِ ، فَأَنْتُمْ أَكْرَمُ النَّاسِ

قال له المَهديُّ : أَحسنتَ والله أبا دُلامةَ ! فما الذي غدا
بك إلينا ؟

قال : وُلِدَت لي جاريةٌ يا أمير المؤمنين .

قال : فهل قلتَ فيها شعراً ؟

قال : نعم قلت :

١ الشَّقَق ، واحداً شقة : السبيبة المستطيلة من الثياب .

فَمَا وَلَدَتِكَ مَرِيْمُ أُمُّ عِيْسَى ، وَلَمْ يَكْفُلْكَ لِقْمَانُ الْحَكِيمُ
وَلَكِنْ قَدْ تَضُمُّكَ أُمُّ سَوِّءٍ إِلَى لَبَّاتِيهَا ، وَأَبُ الثَّمِيمِ
قَالَ : فَضَحِكَ الْمَهْدِيُّ وَقَالَ : فَمَا تُرِيدُ أَنْ أُعِينَكَ بِهِ فِي
تَرْبِيَتِهَا أَبَا دِلَامَةِ ؟

قَالَ : تَمَلَّأْ هَذِهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَشَارَ إِلَيْهِ بِالْخَرِيطَةِ
بَيْنَ إِصْبَعِيهِ .

فَقَالَ الْمَهْدِيُّ : وَمَا عَسَى أَنْ تَحْمِلَ هَذِهِ ؟
قَالَ : مَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِالْقَلِيلِ لَمْ يَقْنَعْ بِالكَثِيرِ .
فَأَمَرَ أَنْ تَمَلَّأَ مَالًا . فَلَمَّا نُشِرَتْ أَخَذَتْ عَلَيْهِمْ صَحْنَ الدَّارِ
فَدَخَلَ فِيهَا أَرْبَعَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ .

وَكَانَ الْمَهْدِيُّ قَدْ كَسَا أَبَا دِلَامَةَ سَاجًا ، فَأَخَذَ بِهِ وَهُوَ
سُكْرَانٌ ، فَأَتَى بِهِ إِلَى الْمَهْدِيِّ ، فَأَمَرَ بِتَمْزِيقِ السَّاجِ عَلَيْهِ ، وَأَنْ
يُحْبَسَ فِي بَيْتِ الدَّجَاجِ ؛ فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ وَصَحَا أَبُو
دِلَامَةَ مِنْ سُكْرِهِ وَرَأَى نَفْسَهُ بَيْنَ الدَّجَاجِ ، صَاحَ : يَا صَاحِبَ
الْبَيْتِ ! فَاسْتَجَابَ لَهُ السَّجَّانُ فَقَالَ : مَا لَكَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ ؟

١ السَّاجُ : الطَّلِسَانُ الْخَضِرُ أَوِ الْأَسْوَدُ .

قال له : ويلك ! من أدخلني مع الدجاج ؟
 قال : أعمالك الخبيثة ، أتي بك أمير المؤمنين وأنت
 سكران فامر بتمزيق ساجك وحبسك مع الدجاج .
 قال له : ويلك ! أوتقدِرُ على أن تُوقدَ سراجاً ، وتجيئني
 بدواة وورق ؟ فأتاه بدواة وورق ، فكتب أبو دلامة
 الى المهدي :

أَمِنْ صَهْبَاءَ صَافِيَةِ الْمِزَاجِ ، كَأَنَّ شِعَاعَهَا لَهَبُ السَّرَاجِ -
 تَهَشُّ لَهَا النُّفُوسُ وَتَشْتَهِيهَا ، إِذَا بَرَزَتْ تَرَقُّقُ فِي الزُّجَاجِ -
 أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَدَتِكَ نَفْسِي ، عِلَامَ حُبْسَتِي وَخَرَقْتَ سَاجِي ؟
 أَقَادُ إِلَى السَّجُونِ بَغَيْرِ ذَنْبٍ ، كَأَنِّي بَعْضُ عُمَالِ الْخَرَاجِ -
 وَلَوْ مَعَهُمْ حُبْسْتُ لَهَانَ وَجَدِي ، وَلَكِنِّي حُبْسْتُ مَعَ الدَّجَاجِ -
 دَجَاجَاتٌ يُطِيفُ بَهِنَّ دِيكَ ، يُنَاجِي بِالصِّيَاحِ إِذَا يُنَاجِي -
 وَقَدْ كَانَتْ تُخَبِّرُنِي دُنُوبِي بِأَنِّي ، مِنْ عَذَابِكَ ، غَيْرُ نَاجِي -
 عَلَى أَنِّي ، وَإِنْ لَاقَيْتُ شَرًّا ، لَخَيْرِكَ ، بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ ، رَاجِي -
 ثُمَّ قَالَ : أَوْصِلْهَا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَوْصِلْهَا إِلَيْهِ السِّجَّانُ ،
 فَلَمَّا قَرَأَهَا أَمَرَ بِإِطْلَاقِهِ وَأَدْخَلَهُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : أَيْنَ بَيْتُ
 اللَّيْلَةِ أَبَا دُلَامَةَ ؟

قال : مع الدجاج يا أمير المؤمنين .

قال : فما كنت تصنع ؟

قال : كنت أقاتي معهن حتى أصبحت .

فضحك المهدي وأمر له بصلة جزيلة ، وخلع عليه
كسوة شريفة .



وكتب أبو دلامة الى عيسى بن موسى ، وهو والي الكوفة ،
رُقعةً فيها هذه الأبيات :

إذا جئتَ الأميرَ فقلْ سلامٌ عليك ، ورحمةُ الله الرَّحيمِ -
فأمّا بعدَ ذاك ، فلي غريمٌ من الأنصار ، قُبِّحَ من غريمِ -
لِزومٍ ، ما علمتُ ، لبابِ داري ، لِزومِ الكلبِ أصحابِ الرِّقيمِ ١ -
له مائةٌ عليّ ونِصفُ أخرى ، ونِصفُ النِّصفِ في صكِّ قديمِ -
دراهمُ ما انتفعتُ بها ، ولكنْ وصلتُ بها شيوخَ بني تميمِ -
قال : فبعث إليه بمائة ألف درهم .

ولقي أبو دلامة أبا دلفٍ في مصادٍ له وهو والي العراق ،
فأخذ بعنانِ فرسه وأنشده :

١ أصحاب الرقيم : أهل الكهف .

إِنِّي حلفتُ لئن رأيتُكَ سالماً بقرى العراقِ ، وأنت ذو وفٍرٍ
لتُصلِّينَ على النبيِّ محمدٍ ، ولتَمْلَأَنَّ دراهماً حِجْرِي
فقال : أما الصلاة على النبيِّ ، فنعم ، صلى الله عليه وسلم ؛
وأما الدراهم ، فعندما نرجعُ إن شاء الله تعالى .
قال له : جعلتُ فداك ، لا تُفرِّق بينهما . فاستلفها
وصُبَّتْ في حِجْرِهِ حتى أثقلتَه .

ودخل أبو دلامة على المهديِّ ، فأنشده أبياتاً أعجب بها ،
فقال له : سلني أبا دلامة واحتمك وأفرط ما شئت .

فقال : يا أمير المؤمنين ، كلبٌ أصطاد به .

قال : قد أمرنا لك بـكَلْبٍ ، وهاهنا بلغتُ أمنيَّتكَ ؟

قال : لا تعجل عليَّ يا أمير المؤمنين ، فإنه بقي غليٌّ .

قال : وما بقي عليك ؟

قال : غلامٌ يقود الكلب .

قال : وغلامٌ يقود الكلب .

قال : وخادمٌ يطبخ الصَّيْدَ .

قال : وخادمٌ يطبخ الصَّيْدَ .

قال : ودار نسكُنُها .

قال : ودار تَسْكُنُهَا .
 قال : وجارية نأوي إليها .
 قال : وجارية تأوي إليها .
 قال : قد بقي الآن المَعاش .
 قال : قد أقطعناك ألفي جَرِيبٍ عامرة وألفي جَرِيبٍ غامرة .
 قال : وما الغامرة يا أمير المؤمنين ؟
 قال : التي لا تَعْمَرُ .
 قال : أنا أَقْطِعُ أمير المؤمنين خمسين ألفاً من فَيَافِي
 بني أسد .
 قال : قد جعلتها كلها لك عامرة .
 قال : فيأذن لي أمير المؤمنين في تَقْبِيلِ يده ؟
 قال : أما هذه فدَعْهَا .
 قال : ما منعني شيئاً أيسرَ على أمٍّ ولدي فَقَدْأ منه .

ودخل أبو دلامة على أبي جعفر المنصور يوماً وعليه قِلَاسٌ سَوِيٌّ
 طويلة ، وكان قد أخذ أصحابه بلبسها وأخذهم بلبس دراريع ،
 عليها مكتوبٌ بين كتفي الرجل : فسيكفيكمهم الله وهو

١ الجريب : ثلاثة آلاف وستائة ذراع .

السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . وأمرهم بتعليق السيوف على أوساطهم ،
فدخل عليه أبو دلامة في ذلك الزَّيِّ ، فقال له : كيف أصبحت
أبا دلامة ؟

قال : بشرَّ حال يا أمير المؤمنين .

قال : كيف ذلك ؟ ويلك !

قال : وما ظنُّك يا أمير المؤمنين بمن أصبح وجهه في وسطه ،
وقد نَبَذَ كتابَ الله عز وجل وراء ظهره ؟

قال : فضحك أبو جعفر وأمر بتغيير ذلك ، وأمر لأبي
دلامة بصلة .



وأوصل أبو دلامة الى العباس بن المنصور رقعةً فيها
هذه الأبيات :

قِفْ بالديارِ ، وأيَّ الدهرِ لم تقفِ ،

على منازلَ بين الظَّهرِ والتَّجَفِّ

وما وُوقِفْكَ في أطلالِ منزلةٍ ،

لولا الذي استحدثتْ في قلبك الكِلَفِ

١ الظهر : موضع . النجف : موضع بظهر الكوفة ، وهو دومة الجندل بعينها .

إِنْ كُنْتَ أَصْبَحْتَ مَشْغُوفًا بِجَارِيَةٍ ،
فَلَا وَرَبِّكَ لَا تَشْفِيكَ مِنْ شَغْفٍ

وَلَا تَزِيدُكَ إِلَّا الْعَلَّ مِنْ أَسَفٍ ،
فَهَلْ لِقَلْبِكَ مِنْ صَبْرٍ عَلَى الْأَسَفِ ؟

هذي مقالةُ شيخٍ من بني أسدٍ ،
يُهدي السلامَ إلى العباسِ في الصُّحُفِ

تَخْطُطُهَا مِنْ جَوَارِي الْمِصْرِ كَاتِبَةٌ ،
قَدْ طَالَمَا ضُرِبَتْ فِي اللَّامِ وَالْأَلْفِ ١

وطلما اختلفت ، صيفاً وشتاءً ،
إلى مُعَلِّمِهَا بِاللُّوحِ وَالْكَتِفِ ٢

حتى إذا ما استوى الشَّدْيَانِ ، وامتلات
منها ، وخيفتْ على الإِسْرَافِ وَالْقَرَفِ

صَيَّنَتْ ثَلَاثَ سِنِينَ مَا تَرَى أَحَدًا ،
كَمَا تُصَانُ بِبَحْرِ دُرَّةٍ الصَّدْفِ

١ ضربت في اللام والألف ، أي ضربها معلمها لتتقن الخط .

٢ الكتف : عظم عريض يكون في أصل كتف الحيوان كانوا يكتبون فيه .

بينا الفقى يتمشى نحو مَسْجِدِهِ ،
 مُبَادِرًا لصلَاة الصبَح بِالسُّدُفِ ١
 حانت له نَظْرَةٌ منها ، فأبصرَهَا
 مُطْلَعَةً بين سِجْفِيهَا من العُرْفِ
 فخرَّ في التَّشْرِب ما يدرى غدا تَنَزُّدُ ،
 آخرُ مُنْكَشِفًا أم غيرَ مُنْكَشِفِ
 وجاءه القومُ أفواجًا بمائِهِمْ ،
 لِيَسْتَضْحُوا الرَّجْلَ المَغْشَى بالنُّطْفِ ٢
 فوسَّوسُوا بقرآنٍ في مَسَامِعِهِ ،
 خوفًا من الجنِّ ، والانسَانُ لم يَخَفْ
 شيئًا ، ولكنَّهُ من حُبِّ جاريةٍ
 أمسى وأصبح ، من موتٍ ، على شرف
 قالوا : لك الخيرُ ما أبصرت ؟ قلتُ لهم :
 جَنِيَّةٌ أَقْصَدْتَنِي من بني خَلْفِ
 أبصرتُ جاريةً محجوبةً لهم ،
 تطلَّعت من أعالي القصرِ ذي الشُّرْفِ

١ السدف ، واحدها سدفة : الظلمة .

٢ النطف : الماء الصافي .

فقلتُ : مَنْ أَيْتُكُمْ ، وَاللَّهُ يُأْجِرُهُ ،
يُعِيرُ قُوَّتَهُ مِنِّي إِلَى ضَعْفِي ؟

فَقَامَ شَيْخٌ بَهِيٌّ مِنْ تِجَارِهِمْ ،
قَدْ طَالَمَا تَخَدَعُ الْأَقْوَامَ بِالْخَلِيفِ ،

فَابْتَاعَهَا لِي بِالْفَيْ أَحْمَرٍ ، فَعَدَا
بِهَا إِلَيَّ فَأَلْقَاهَا عَلَى كَتِفِي

بِتَنَا كَذَلِكَ حَتَّى جَاءَ صَاحِبُهَا ،
يَبْنِي الدَّانِيرَ بِالْمِيزَانِ ذِي الْكِفِّ

وَذَاكَ حَقٌّ عَلَى زَنْدٍ ، وَكَيْفَ بِهِ ،
وَالْحَقُّ فِي طَرَفٍ وَالْعَيْنُ فِي طَرَفٍ

وَبَيْنَ ذَاكَ شُهُودٌ لَمْ أَبَالِ بِهِمْ ،
أَكُنْتُ مُعْتَرِفًا أَمْ غَيْرَ مُعْتَرِفٍ

فَإِنْ تَصِلَنِي قَضِيَّتُ الْقَوْمِ حَقَّهُمْ ،
وَإِنْ تَقُلْ لَا ، فَحَقُّ الْقَوْمِ فِي تَلَفٍ

فلما قرأ العباس الأبيات أعجب بها واستظرفها ، وقضى
عنه ثمن الجارية .

واسم أبي دلالة زند .

إبراهيم بن المهديّ قال : قال لي جعفر بن يحيى يوماً : إني
استأذنت أمير المؤمنين في الحِجامة وأردت أن أخلو وأفرّ
من أشغال الناس وأتروّح^١ ، فهل أنت مُساعدي ؟

قلت : جعلني الله فداك ، أنا أسعدُ الناس بمُساعدتك ،
وآنسُ بمُخالاتك .

قال : بكرّ إليّ بكَورِ الغُراب .

قال : فأُتيتُ عند الفجر الثاني فوجدتُ الشمعةَ بين يديه ،
وهو قاعدٌ ينتظرني للميعاد .

قال : فصلّينا ثم أفضنا في الحديث حتى جاء وقت الحِجامة ،
فأتي بحجّامٍ فحجّمنا في ساعة واحدة ، ثم قدّم إلينا طعاماً
فطعّمنا ، فلما غسلنا أيدينا خلعَ علينا ثيابُ المُنادمة ،
وضمّخنا بالخلوق^٢ ، وظلّلتنا بأسرّ يومٍ مرّ بنا .

ثم إنه ذكرَ حاجةً فدعا الحاجبَ ، فقال : إذا جاء عبدُ
الملك القهرمانيّ فأذن له . فتسّي الحاجب ، وجاء عبدُ الملك
ابن صالح الهاشمي على جلالته وسنّه وقدره وأدبه ، فأذن

١ تروح بالمروحة : أخذ الريح بها . ولعله أراد هنا بتروح ارتاح ، أي
سرو نشط .

٢ الخلق : ضرب من الطيب اعظم اجزائه الزعفران .

له الحاجب . فما راعنا إلا طُلُعةُ عبد الملك ، فتغيّر لذلك
جعفرُ بن يحيى وتنغّصَ عليه ما كان فيه . فلما نظر عبدُ الملك
إليه على تلك الحال دعا غلامه فدفع إليه سيفه وسواده
وعِمامته ، ثم جاء ووقف على باب المجلس ، وقال : اصنعوا
بي ما صنعتُم بأنفسِكُم .

قال : فجاء الغلامُ فطرحَ عليه ثيابَ المُنادمةِ ، ودعا
بالطعام فطعمَ ، ثم دعا بالشراب فشرب ثلاثاً ، ثم قال :
ليُخَفِّفَ عني ، فإنه شيءٌ ما شربته قط . فتهلّل وجهُ جعفر
وفرّح به .

وكان الرشيد قد عتب على عبد الملك بن صالح ووجد
عليه . فقال له جعفر بن يحيى : جعلني الله فداك ، قد تفضّلتَ
وتطوّلتَ وأسعدتَ ، فهل من حاجةٍ تبلغُها مقدرتي ، أو
تُحيطُ بها نِعمتي ، فأقضيها لك مُكافأةً لما صنعت ؟
قال : بلى ، إن قلبَ أميرِ المؤمنين عاتبُ عليّ ، فسَلِّه
الرضا عني .

قال : قد رَضِي عنك أميرُ المؤمنين .
ثم قال : عليّ أربعةُ آلاف دينار .
قال : حاضرة ، ولكن من مالِ أميرِ المؤمنين أحبُّ اليك .
قال : وابني إبراهيمُ أحبُّ أن أشدَّ ظهرَه بصِهرٍ من
أولاد أميرِ المؤمنين .

قال : قد زوجه أمير المؤمنين ابنته عائشة .

قال : وأحبُّ أن تَخْفُقَ الألوِيَّةُ على رأسه .

قال : قد ولّاه أمير المؤمنين مصر .

قال : وانصرف عبدُ الملكِ ، ونحن نَعَجَبُ من إقدامه

على قضاءِ الحوائجِ من غيرِ استئذانِ أمير المؤمنين .

فلما كان من الغد وقفنا على بابِ الرشيد ودخل جعفرُ ،

فلم نلبث أن دُعِيَ بأبي يوسف القاضي ومحمد بن الحسن وإبراهيم

ابن عبد الملك ، فعقد النكاحُ ، وحملتِ البِدرُ الى منزل

عبد الملك ، وكتبَ سِجْلُ إبراهيمَ على مصر .

وخرج جعفرُ فأشارَ إلينا ، فلما صار الى منزله ، ونحن

خلفه ، نزل ونزلنا بنزوله ؛ فالتفت إلينا فقال : تعلّقت

قلوبُكم بأولِ أمرِ عبدِ الملك فأحببتم معرفة آخره ، وإني

لما دخلتُ على أمير المؤمنين ومثّلتُ بين يديه وابتدأتُ

القِصَّةَ من أولِها ، فجعل يقول : أحسنَ والله ! أحسنَ والله !

فما صنعت ؟ فأخبرته بما سأل وبما أحبته به ؛ فجعل يقولُ

في ذلك : أحسنت ! أحسنت ! وخرج إبراهيمُ والياً على مصر .



قدِمَ رجلٌ على ملكٍ من ملوكِ الأكسرة ، فمكثَ ببابه

حيناً لا يَصِلُ اليه ، فتَلَطَّفَ في رُقْعَةٍ أَوْصَلَهَا إِلَيْهِ ، وفيها
أربعةُ أسطر .

في السطرِ الأول : الضَّرَّ والأملُ أقدماني عليك .
والسطرِ الثاني : الفقر لا يكون معه صبر .
والسطرِ الثالث : الانصرافُ بلا فائدةٍ فِتْنَةٌ وشماتَةٌ للعدو .
والسطرِ الرابع : فإِما نَعَمْ مُشْمِرَةٌ ، وإِما لا مُرِيحَةٌ .
فلما قرأها وَقَعَ تحت كلِّ سطرٍ منها بألفٍ مثقالٍ
وأمر له بها .

ودخل رجلٌ من الشعراءِ على يحيى بن خالدِ بن برمكٍ
فأنشده :

سألتُ النَّدَى : هل أنتُ حُرٌّ ؟ فقال : لا !
ولكِنِّي عَبْدٌ ليحيى بنِ خالدٍ
فقلتُ : شِراءٌ ؟ قال : لا ! بل وراثَةٌ
توارثني عن والدٍ بعد والدٍ
فأمر له بعشرةِ آلاف .

ودخل أعرابيٌّ على خالد بن عبد الله القَسَري فأنشده :

أُخَالِدُ ! إني لم أزرُكَ حُلَّةً ،
سوى أنسي عافٍ وأنت جوادُ

أُخَالِدُ ! بينَ الحَمْدِ والأجرِ حاجتي ،
فأيُّهُما تأتني ، فأنت عِمَادُ

فأمر له بخمسة آلاف درهم .



ومن قولنا في هذا المعنى ، ودخلتُ على أبي العباس
القائدِ فأنشدته :

اللهُ جَرَّدَ للندى والباسِ سَيْفًا ، فقلَّده أبا العباسِ

مَلِكًا ، إذا استقبلتْ غُرَّةَ وجهه ، قَبَضَ الرَّجاءُ إِلَيْكَ روحَ الياسِ

وَجْهُهُ عَلَيْهِ مِنَ الْحَيَاءِ سَكِينَةٌ ، وَمَحَبَّةٌ تَجْرِي مَعَ الْأَنْفَاسِ

وَإِذَا أَحَبَّ اللهُ يَوْمًا عَبْدَهُ ، أَلْقَى عَلَيْهِ مَحَبَّةً لِلنَّاسِ

ثم سألتُه حاجةً فيها بعضُ الغِلْظِ ، فتلكأ عليّ ، فأخذت
سِجَابَةً^١ من بين يديه فوقَّعتُ فيها على البديهة :

ما ضرَّ عندكَ حاجتي ما ضرَّها ؟

عُذْرًا إِذَا أُعْطِيتَ نَفْسَكَ قَدْرَهَا

١ السجابة : القرطاس .

انظر الى عَرْضِ البلاد وطولها ،
أولست أكرم أهلها وأبرها ؟

حاشي لجودك أن يُوعَّرَ حاجتي ،
ثِقْتِي بجودك سهَّلت لي وعَرَّها

لا يَجْتَنِي حُلُوَ المحامدِ ماجدٌ ،
حتى يَذوقَ من المطالبِ مُرَّها

فقضى الحاجة وسارع إليها .

وأبطأ عبدُ الله بن يحيى^١ عن الديوان ، فأرسلَ إليه
المتوكلُ يتعرَّفُ خبره ، فكتب إليه :

عَلِيلٌ من مَكَانَيْنِ : من الإِفلاسِ والدَّيْنِ

ففي هذين لي شُغْلٌ ، وحسبي شُغْلُ هَـذَيْنِ

فبعثَ إليه بألفِ دينار .

عبدُ الله بن منصور قال : كنتُ يوماً في مجلسِ الفضلِ بن
يحيى ، فأتاه الحاجبُ فقال : إنَّ بالبابِ رجلاً قد أكثَرَ في
طلبِ الإِذنِ ، وزعمَ أن له يداً يَمُتُ بها .

١ هو وزير المتوكل .

فقال : أدخله .

فدخلَ رجلٌ جميلٌ رثُ الهَيْئَةِ ، فسَلَّم فأحسنَ ، فأومأَ إليه بالجلوسِ ، فجلس . فلما عَلِمَ أَنَّهُ قد انطلقَ وأمكنه الكلام قال له : ما حاجتك ؟

قال له : قد أعربتُ بها رِثَاةُ هَيْئَتِي وضعفُ طَاقِي .

قال : أجل ، فما الذي نَمُتُ به ؟

قال : وَلَادَةُ تَقَرُّبُ مِنْ وَلَادَتِكَ ، وَجِوَارُ يَدْنُو مِنْ جَوَارِكَ ، وَاسْمٌ مُشْتَقٌّ مِنْ اسْمِكَ .

قال : أمّا الجِوَارُ فقد يُمكنُ أن يكونَ كما قلتَ ، وقد يوافقُ الاسمُ الاسمَ ، ولكن ما عَلِمْتُك بالولادة ؟

قال : أَعَلَمْتَنِي أُمِّي أَنَّهَا لما وَضَعْتَنِي ، قيل : إِنَّهُ وُلِدَ اللَّيْلَةَ لِيَحْيَى بْنِ خَالِدٍ غَلامٌ وَسُمِّيَ الْفَضْلُ ؛ فَسَمَّيْتَنِي فَضَيْلاً ، إِعْظَاماً لِاسْمِكَ أَنْ تُلْحِقَنِي بِهِ .

فَتَبَسَّمَ الْفَضْلُ وَقَالَ : كَمْ أَتَى عَلَيْكَ مِنَ السَّنِينَ ؟

قال : خَمْسٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً .

قال : صَدَقْتَ ، هَذَا الْمِقْدَارُ الَّذِي أَتَيْتُ عَلَيْهِ ، فَمَا فَعَلْتَ أُمُّكَ ؟

قال : تَوَفَّيْتِ رَحِمَهَا اللَّهُ .

قال : فما منعك من اللُّحُوقِ بِنَا فِيمَا مَضَى ؟

قال : لم أرضَ نفسي للقائِكَ في عامِيَّةٍ وحدائِهِ تَقْعِدُنِي
عن لقاء الملوك .

قال : يا غلامُ ، أعطِهِ لكلِّ عامٍ من سِنِيهِ ألفاً ، وأعطِهِ
من كُسُوتِنَا ومَراكِبِنَا ما يَصْلُحُ لَهُ .
فلم يخرج من الدار إلا وقد طاف به إخوانُهُ وخاصَّةُ أهْلِهِ .

•
وكتب حبيبُ الطائي الى أحمدَ بن أبي دُواد :

اعلمْ ، وأنتَ المرءُ غيرَ مُعلِّمٍ ،
وافهمْ ، جُعلتُ فِداكُ ، غيرَ مُفهِمٍ .

أنَّ اصْطِناعَ العُرفِ ، ما لم تُؤْلِهْ
مُسْتَكْمِلاً ، كالثوبِ ما لم يُعْلَمْ .

والشُّكْرُ ، ما لم يُسْتَشَرْ بِصَنِيعَةٍ ،
كالخَطِّ تَقْرؤُهُ ، وليسَ بِمُعْجَمٍ .

وتفنَّنتُ في القولِ إِكْثارٌ ، وقد
أُسرِجتَ في كرمِ الفِعالِ فَأَجْمَ .

•
وقال دِعبِلُ بن عليٍّ الحُزاعيُّ في طاهر بن الحُسين :

أيا ذا اليمِينينِ والدَّعَوَتينِ ، ومنَ عنده العُرفُ والنَّائِلُ

أَتَرْضَى لِمِثْلِي أَنْتِي مُقِيمٌ بِبَابِكَ ، مُطَّرَحٌ ، خَامِلٌ ؟
 رَضِيتُ ، مِنْ الْوُدِّ وَالْعَائِدَاتِ ، وَمِنْ كُلِّ مَا أَمَّلَ الْآمِلُ
 بِتَسْلِيمَةٍ بَيْنَ خَمْسٍ وَسِتٍّ ، إِذَا ضَمَّكَ الْمَجْلِسُ الْخَافِلُ
 وَمَا كُنْتُ أَرْضَى بِذَا مِنْ سِوَاكَ ؛ أَرْضَى بِذَا رَجُلٌ عَاقِلٌ ؟
 وَإِنْ نَابَ شُغْلٌ ، فَفِي دُونِ مَا تُدَبِّرُهُ شُغْلٌ شَاغِلٌ
 عَلَيْكَ السَّلَامُ ، فَإِنِّي امْرُؤٌ ، إِذَا ضَاقَ بِي بَلَدٌ ، رَاحِلٌ

وَنَظَرَ زِيَادٌ إِلَى رَجُلٍ مِنْ ضَبَّةٍ يَأْكُلُ أَكْلًا قَبِيحًا ، وَهُوَ
 أَقْبَحُ النَّاسِ وَجْهًا ، فَقَالَ : يَا أَخَا ضَبَّةَ ، كَمْ عِيَالُكَ ؟
 قَالَ : سَبْعُ بَنَاتٍ أَنَا أَجْمَلُ مِنْهُنَّ ، وَهِنَّ آكُلْنَ مِنِّي .
 فَضَحَكَ زِيَادٌ وَقَالَ : اللَّهُ دَرُّكَ ، مَا أَلْطَفَ سَوَالُكَ !
 افْرَضُوا لَهُ وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ مِائَةً وَخَادِمًا ، وَعَجَّلُوا لَهُ
 وَلِهِنَّ أَرْزَاقَهُمْ .

فَخَرَجَ الضَّبِّيُّ وَهُوَ يَقُولُ :

إِذَا كُنْتَ مُرْتَادَ السَّمَاةِ وَالنَّوْدِيِّ ،
 فَنَادِ زِيَادًا ، أَوْ أَخَا زِيَادٍ
 يُحِبُّكَ امْرُؤٌ يُعْطِي عَلَى الْحَمْدِ مَالَهُ ،
 إِذَا ضَنَّ بِالْمَعْرُوفِ كُلِّ جَوَادٍ

وما لي لا أثني عليك ، وإنما
طريفي من معروفيكم وتلادي ؟

•
ووقف دُعْبِلُ ببعضِ أمراء الرِّقَّةِ ، فلمَّا مَثَلَ بين يديه
قال : أُلِّحَ اللهُ الأَمِيرَ ، إِنِّي لا أَقُولُ كما قال صاحبُ مَعْنٍ :
بأيِّ الحَلَّتَيْنِ عليك أثني ، فَإِنِّي عند مُنْصَرَفِي مَسْئُولُ
أَبِي الحُسَيْنِ ، وليس لها ضِيَاءٌ عليّ ، فمن يُصَدِّقُ ما أَقُولُ
أم الأُخْرَى ، ولستَ لها بأهلٍ ، وأنتَ لِكُلِّ مَكْرُمَةٍ فَعُولُ
ولكنني أَقُولُ :

ماذا أَقُولُ ، إذا أَتَيْتُ مَعَاشِرِي
صَفْراً يَدَايَ مِنَ الجَوَادِ المُجْزَلِ ؟
إِن قُلْتُ أَعْطَانِي كَذِبْتُ ، وَإِن أَقُلْتُ
ضَنَّ الأَمِيرُ بِمَالِهِ لَمْ يَجْمُلِ
وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِالْمَكَارِمِ والعُلا ،
مِنْ أَن أَقُولَ فَعَلْتَ مَا لَمْ تَفْعَلِ
فَاخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ مَا أَقُولُ ، فَإِنِّي
لا بَدَّ مُخْبِرُهُمْ ، وَإِن لَمْ أُسْأَلِ
قال له : قَاتَلَكَ اللهُ ! وأمر له بعشرة آلاف درهم .

العُتْبِيُّ قال :

دخل ابن عبدل^١ على بشر بن مروان لما ولي الكوفة
فقعده بين السَّمَّاطِينَ ، ثم قال : أيها الأمير ، إني رأيتُ رؤيا
فأذن لي في قصصها ؛ فقال : قل . فقال :

أَغْفَيْتُ قَبْلَ الصُّبْحِ نَوْمَ مُسَهَّدٍ ،
فِي سَاعَةٍ مَا كُنْتُ قَبْلُ أَنَامُهَا

فَرَأَيْتُ أَنَّكَ رُعْتَنِي بَوْلَيْدَةٍ
مَفْلُوجَةٍ ، حَسَنٍ عَلَيَّ قِيَامُهَا^٢

وَبِإِدْرَةٍ حُمِلَتْ إِلَيَّ ، وَبَغْلَةٍ
شَهْبَاءَ ، نَاجِيَةٍ يَصِرُّ لِحَامُهَا^٣

قال له بشر بن مروان : كلُّ شيءٍ رأيتَ فهو عندي إلاَّ
البغلة ، فإنها دهماء فارهة^٤ ؛ قال : امرأتِي طالقُ ثلاثاً إن
كنتُ رأيتها إلاَّ دهماء ، إلاَّ أني غَلِطْتُ .

•

١ شاعر أموي .

٢ المفلوجة : المنفرجة الاسنان

٣ الناجية : السريعة .

٤ الفارهة : النشيطة .

الشَّيبَانِي عَنْ الْبُطَيْنِ الشَّاعِرِ قَالَ :

قَدِمْتُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ يَحْيَى الْأَرْمِينِيِّ فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ :

رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ أَنْتِي رَاكِبٌ فَرَسًا ،
وَلِي وَصِيفٌ ، وَفِي كَفِّي دَنَانِيرُ

فَقَالَ قَوْمٌ لَهُمْ حِذْقٌ وَمَعْرِفَةٌ :
رَأَيْتَ خَيْرًا ، وَلِلْأَحْلَامِ تَعْبِيرُ

رُؤْيَاكَ فَسَّرَ غَدًا عِنْدَ الْأَمِيرِ تَجِدُ
تَعْبِيرَ ذَاكَ ، وَفِي الْفَالِ التَّبَاشِيرُ

فَجِئْتُ مُسْتَبْشِرًا مُسْتَشْعِرًا فَرَحًا ،
وَعِنْدَ مِثْلِكَ لِي بِالْفِعْلِ تَيْسِيرُ

قَالَ : فَوْقَ لِي فِي أَسْفَلِ كِتَابِي : أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ، وَمَا
نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ . ثُمَّ أَمَرَ لِي بِكُلِّ شَيْءٍ ذَكَرْتُهُ فِي
أَبْيَاتِي وَرَأَيْتُهُ فِي مَنَامِي .

وَقَالَ بَشَّارُ الْعُقَيْلِيِّ :

حَتَّى مَتَى لَيْتَ شِعْرِي ، يَا بَنَ يَقُطِينِ ،
أَتُنِي عَلَيْكَ بَمَا لَا مِنْكَ تَوْلِينِي ؟

أَمَا عَلِمْتَ ، جزاك الله صالحاً
 عَنِّي ، وزادك خيراً يابنَ يَقْطِينِ
 أَنَّنِي أُرِيدُكَ لِلدُّنْيَا وَزِينَتِهَا ،
 وَلَا أُرِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ لِلدِّينِ ؟

وقال آخرُ في مثل هذا المعنى :

يَابْنَ الْعَلَاءِ وَيَا ابْنَ الْقَرَمِ مِرْدَاسِ !
 إِنِّي لِأَطْرِيكَ فِي أَهْلِي وَجُلَاسِي^١
 أَثْنِي عَلَيْكَ ، وَلِي حَالٌ تُكَذِّبُنِي
 فِيمَا أَقُولُ ، فَأَسْتَحْيِي مِنَ النَّاسِ
 حَتَّى إِذَا قِيلَ : مَا أَعْطَاكَ مِنْ صَفَدٍ ؟
 طَاطَأْتُ^٢ مِنْ سُوءِ حَالِي عِنْدَهَا رَاسِي

١ هو عمرو بن العلاء بن مرداس : والشعر لأبي العتاهية . القرم : السيد .

٢ الصفد : العطاء .

الآخذ من الأمراء

حدَّثنا جعفرُ بن محمد عن يزيد بن سَمعان عن عبدِ الله بن
ثور عن عبدِ الحميد بن وَهْب عن أبي الحَلَّال ، قال :  :
سألتُ عثمانَ بن عفَّان عن جائزة السلطان ؛ فقال : لحمٌ
طريٌّ زكيٌّ .

جعفر بن محمد عن يحيى بن محمد العامريِّ عن المُعتمرِ عن
عمران بن حُدَيْر ، قال :
انطلقتُ أنا ورجلٌ الى عِكرمةَ ، فرأى الرجلُ عليه
عمامةً مُتخرَّقةً ، فقال الرجل : عندنا عمامٌ ، ألا نبعثُ
إليك بعمامةٍ منها ؟ قال عِكرمة : إننا لا نقبلُ من الناسِ
شيئاً إنما نقبل من الأمراء .

وقال هشامُ بن حسان :
رأيتُ على الحسنِ البصريِّ خُميصاً^١ لها أعلامٌ يصلي
فيها ، أهداها إليه مسلمةُ بنُ عبدِ الملك .

١ الخُميصه : كساء اسود مربع له علمان .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلبسُ خُفَّيْنِ أَسْوَدَيْنِ
أهداهما إليه النَّجَاشِيُّ صاحبُ الحَبَشَةِ .



وقال نافعٌ : كان عبدُ الله بن عمر يقبل هدايا أهل الفِتْنَةِ ،
مثل المُخْتَار وغيره .



ودخل مالكُ بن أنسٍ على هارونَ الرشيد ، فشكا إليه
دَيْنًا لزمه ، فأمرَ له بألفِ دينارٍ عَيْن . فلما وضعَ يديه
للقيامِ قال : يا أميرَ المؤمنين ، وزوجتُ ابني محمدًا فصار عليَّ
فيه ألفُ دينار ، قال : ولابنه ألفُ دينار .
فلقد مات مالك وتركها لورثته في مِرْزُود .



وقال الأصمعي : حدثني إسحاقُ بن يحيى بن طلحة قال :
كان الربيع بن خُثَيم في ألفٍ ومائةٍ من العطاء ، فكَلَّم
فيه أبي معاوية ، فألحقه بألفين . فلما حضرَ العطاء ثُودي
الربيعُ بن خُثَيم ، فقبله : في ألفين ، فقعد ، فنظروا
فوجدوا على اسمه مكتوبًا : كَلَّم فيه يحيى بنُ طلحة أميرَ
المؤمنين ، فألحقه بألفين .



وقال رجلٌ لابراهيمَ بن أدهمَ : يا أبا إسحاقَ ، كنتُ أريدُ
أن تقبلَ مِنِّي هذه الجُبَّةَ كُسوةً .

قال : إن كنتَ غنيًّا قبلتها منك ، وإن كنتَ فقيرًا لم
أقبلها منك .

قال : فأني غنيٌّ .

قال : وكم مالُك ؟

قال : ألفا دينار .

قال : فأنت تودُّ أنها أربعةُ آلاف ؟

قال : نعم .

قال : فأنت فقيرٌ ، لا أقبلها منك .



وأمر إبراهيمُ بن الأغلِبِ ، المعروفُ بزيادةِ الله ، بمالٍ
يُقسمُ على الفقهاءِ ، فكان منهم من قبِلَ ، ومنهم من لم
يقبل ، فكان أسدُ بنُ الفُراتِ فيمنَ قبِلَ . فجعلَ زيادةُ
اللهِ يَغْمِصُ^١ على كلِّ من قبِلَ منهم . فبلغَ ذلكَ أسدَ بنَ
الفراتِ ، فقال : لا عليه ، إنما أخذنا بعضَ حقوقنا واللهُ
سائلُهُ عما بقي .



١ يغمص : يعيب .

وقد فخرتِ العربُ بأخذِ جوائزِ الملوكِ ، وكان من
أشرفِ ما يتموّلونه ، فقال ذو الرمة :

وما كان مالي من تراثٍ ورثته ،
ولا ديةٍ كانت ، ولا كسبٍ مأثمٍ
ولكنّ عطاءُ الله من كل رحلة ،
إلى كل محجوبٍ السّرادق خضمّ ١

وقال آخر يهجو مروان بن أبي حفصة ويعيبه بأخذه من
العامّة ، ويفخرُ بأنه لا يأخذُ إلا من الملوك ، فقال :

عطايا أمير المؤمنين ، ولم تكن
مقسّمةً من هؤلاء وأولئكا
وما نلتَ حتى شئتَ إلا عطيةً
تقوم بها ، مصرورةً في ردائكا

١ الخضم : الكثير العطاء .

تفضيل بعض الناس على بعض

في العطاء

ذكرَ عمرُ بن الحُطَّاب رضي الله عنه الفقراء ، فقال : إن سعيدَ بنِ حذَيمٍ منهم ، فأعطاه ألفَ دينار ، وقال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا أعطيت فأغنِ .

وقدِم على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وفدٌ من العربِ فأعطاهم وفضَّلَ رجلاً منهم ؛ فقليلَ له في ذلك ؛ فقال : كلُّ القومِ عيالٌ عليه .

وأعطى النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين المؤلفةَ قلوبهم^١ ، فأعطى الأقرعَ بن حابس التميميَّ وعيينةَ بنَ حصنِ الفزاريَّ مائةً من الإبل ، وأعطى العباسَ بنَ مرداسَ السلميَّ خمسين ؛ فشقَّ ذلك عليه ، فقال أبياتاً ، فأثابه بها وأنشده إياها ، وهي :

١ المؤلفة قلوبهم : من التَّألف وهو المداراة والائناس لرجال حديثي عهد بكفر ليثبتوا على الإسلام رغبة فيما يصل إليهم من المال . (النهاية لابن الأثير) .

أَيَذْهَبُ نَهْيٍ وَنَهَبُ الْعُبَيْدِ بَيْنَ عُيَيْنَةٍ وَالْأَقْرَعِ ١
 وَلَا كَانَ حِصْنٌ ، وَلَا حَابِسٌ ، يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِي مَجْمَعِ
 وَمَا كُنْتُ غَيْرَ أَمْرٍ مِنْهُمْ ، وَمَنْ تَضَعِ الْيَوْمَ لَمْ يُرْفَعْ
 فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِبِلَالٍ : اقْطَعْ عَنِّي
 لِسَانَ الْعَبَّاسِ ؛ فَأَعْطَاهُ حَتَّى أَرْضَاهُ .



وَقَالَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ : لَقَدْ غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَا خَلَقَ اللَّهُ خَلْقًا أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْهُ ،
 فَمَا زَالَ يُعْطِينِي حَتَّى مَا خَلَقَ اللَّهُ خَلْقًا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُ . وَكَانَ
 صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ مِنَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ .



١ العبيد : اسم فرس العباس .

شكر النعمة

سليمانُ التَّمِيمِي قال :

إِنَّ اللَّهَ أَنْعَمَ عَلَى عِبَادِهِ بِقَدْرِ قُدْرَتِهِ ، وَكَلَّفَهُمْ مِنَ الشُّكْرِ بِقَدْرِ طَاقَتِهِمْ .

وقالوا : مكتوبٌ في التوراة : اشكروا لمن أنعم عليكم ،
وأنعم على من شكرك .

وقالوا : كفرُ النعمة يُوجبُ زوالها ، وشكرُها
يُوجبُ المزيدَ فيها .

وقالوا : مَنْ حَمِدَكَ فَقَدْ وَفَّاكَ حَقَّ نِعْمَتِكَ .

وجاء في الحديث : مَنْ نَشَرَ مَعْرُوفاً فَقَدْ شَكَرَهُ ، وَمَنْ
سَتَرَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ .

وقال عبدُ الله بن عباس : لو أَنَّ فِرْعَوْنَ مِصْرَ أَسَدَى
إِلَيَّ يَدًا صَالِحَةً لَشَكَرْتُهُ عَلَيْهَا .

وقالوا : إِذَا قَصُرَتْ يَدَاكَ عَنِ الْمَكْفَاةِ ، فليَطُلْ
لِسَانُكَ بِالشُّكْرِ .

وقالوا : مَا نَجَلَ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ شَيْئاً أَقْلَ مِنْ الشُّكْرِ ،
واعتَبِرْ ذَلِكَ بِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ
الشَّاكِرِينَ .

محمد بن صالح عن الواقدي قال : دخلت على يحيى بن خالد
البرمكي ، فقلت : إِنَّ هَاهُنَا قَوْماً جَاءُوا يَشْكُرُونَ لَكَ
مَعْرُوفاً ، فقال : يَا مُحَمَّدُ ، هَؤُلَاءِ يَشْكُرُونَ مَعْرُوفاً ، فكيف
لَنَا بِشُكْرِ شُكْرِهِمْ ؟

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدِهِ
نِعْمَةً فَرَأَى عَلَيْهِ أَثَرَهَا إِلَّا كَتَبَ : حَبِيبُ اللَّهِ شَاكِراً لِأَنْعُمِهِ ؛
وَمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدِهِ نِعْمَةً فَلَمْ يَرَ أَثَرَهَا عَلَيْهِ إِلَّا كَتَبَ :
بَغِيضُ اللَّهِ كَافِراً لِأَنْعُمِهِ .

وكتب عدي بن أرطاة إلى عمر بن عبد العزيز : إِنِّي بِأَرْضٍ
كَثُرَتْ فِيهَا النِّعَمُ ، وَقَدْ خِفْتُ عَلَى مَنْ قِيبَلِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ
قِلَّةَ الشُّكْرِ وَالضَّعْفَ عَنْهُ . فَكُتِبَ إِلَيْهِ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُنْعِمِ عَلَى قَوْمٍ نِعْمَةً فَحَمِيدُوهُ عَلَيْهَا إِلَّا كَانَ مَا
أَعْطَوْهُ أَكْثَرَ مِمَّا أَخَذُوا . وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى :
وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
فَضَّلَنَا . فَأَيُّ نِعْمَةٍ أَفْضَلُ مِمَّا أُوتِيَ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانُ ؟

•
وَسَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَنْشِدُ
أَبْيَاتَ زُهَيْرِ بْنِ جَنَابٍ :

ارْفَعْ ضَعِيفَكَ لَا يَحْزُنْ بِكَ ضَعْفُهُ
يَوْمًا ، فَتُدْرِكُهُ عَوَاقِبُ مَا جَنَى

يَجْزِيكَ أَوْ يُثْنِي عَلَيْكَ ، فَإِنَّ مَنْ
أَثْنَى عَلَيْكَ بِمَا فَعَلْتَ ، كَمَنْ جَزَى

فَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : صَدَقَ يَا عَائِشَةُ ، لَا شُكْرَ
لِلَّهِ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ .

•
الْحُشَنِيُّ قَالَ : أَنْشَدَنِي الرِّيَاشِيُّ :

إِذَا أَنَا لَمْ أَشْكُرْ عَلَى الْخَيْرِ أَهْلَهُ ،
وَلَمْ أَذُمَّ الْجَبَسَ اللَّئِيمَ ، الْمَذْمُومَ

١ لا يحزر : لا يرجع .

٢ الجبس : الجبان واللئيم .

ففيمَ عرفتُ الخيرَ والشكرَ باسمِهِ ،
وشقَّ لي اللهُ المسامعَ والفمَ ؟

وأنشدني في الشكر :

سأشكرُ عمراً ما تراختَ منيَّتي
أيادي لم تُمننَ ، وإن هي جَلَّتْ
فتى غيرَ محبوبٍ الغنى عن صديقه ،
ولا مُظهِرَ الشكوى ، إذا النعلُ زَلَّتْ
رأى خلَّتي من حيثُ يخفى مكانُها ،
فكانت قذى عينيهِ حتى تجلَّتْ

قلة الكرام في كثرة اللئام

قال النبي صلى الله عليه وسلم : الناس كإبلٍ مائةٍ لا تكاد تجِدُ فيها راحلةً^١ .

وقالت الحكماء : الكِرامُ في اللئامِ كالغُرَّةِ في الفرس .

وقال الشاعر :

تُفَاخِرُنِي بِكَثْرَتِهَا قُرَيْظٌ^٢ ، وَقَبْلِي وَالِدَ الْحَجَلِ الصَّقُورُ^٣
فَإِنْ أَكُ فِي شِرَارِكُمْ قَلِيلًا ، فَإِنِّي فِي خِيَارِكُمْ كَثِيرُ
بُغَاثُ الطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فِرَاحًا ، وَأُمُّ الصَّقْرِ مَقْلَاتُ نَزُورِ^٣

وقال السَّمَوَال :

تُعَيِّرُنَا أَنْتَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا ، فَقُلْتُ لَهَا : إِنَّ الْكِرَامَ قَلِيلُ
وَمَا ضَرَرْنَا أَنْتَا قَلِيلٌ وَجَارُنَا عَزِيزُ ، وَجَارُ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلُ

١ الراحلة : الصالحة لأن ترحل .

٢ والد : فاخر بكثرة الولد .

٣ المقلات : التي تلد واحداً ثم لا تلد بعد ذلك النزور من النساء : القليلة الولد .

وقال حبيب :

ولقد نكونُ ، ولا كريمَ نَنالُه ،
حتى نخوضَ إليه ألفَ لثيم

قال ابن أبي حازم :

وقالوا : لو مَدَحْتَ فَتَى كَرِيماً ؟
فقلتُ : وكيفَ لي بفتى كريم !
بلوتُ ومَرَّ بي خَمْسُونَ حَوْلًا ،
وَحَسْبُكَ بِالْمُجَرَّبِ مِنْ عَلِيمٍ
فلا أَحَدٌ يُعَدُّ لِيَوْمَ خَيْرٍ ؛
ولا أَحَدٌ يَعُودُ عَلَى عَدِيمٍ ١

وقال دَعْبِل :

ما أَكْثَرَ النَّاسَ لَا بَلَّ مَا أَقْلَهُمْ ،
واللهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَقُلْ فَتَدَا ٢
إِنِّي لِأَغْلِقُ عَيْنِي ، ثُمَّ أَفْتَحُهَا
عَلَى كَثِيرٍ ، وَلَكِنْ مَا أَرَى أَحَدًا

١ يعود على عديم : ينفعه ، يصنع اليه معروفاً .

٢ الفند : الكذب .

وأحسن ما قيل في هذا المعنى قول حبيب الطائي :

إنَّ الجِيَادَ كثيرٌ في البلاد ، وإن
قَلَّوْا ، كما غَيْرُهُمْ قَلَّ ، وإن كَثُرُوا

لا يَذْهَبَنَّكَ مِنْ دَهْمَانِهِمْ عَجَبٌ ،
فإنَّ جُلَّهْمُ ، أو كُلَّهْمُ ، بَقْرٌ^١

وكلَّما أَضَحَّتِ الأَخْطَارُ بَيْنَهُمْ
هَلَكِي ، تَبَيَّنَ مِنْ أَضْحَى لَهُ خَطَرٌ

لو لم تُصَادِفْ شَيَاتِ البَهْمِ أَكْثَرُ مَا
فِي الخَيْلِ ، لم تُحْمَدِ الأَوْضَاحُ والغُرَرُ^٢

•

١ الذمء : جماعة الناس .

٢ الشيات ، واحدها شية : سواد في بياض أو بياض في سواد . الأوضح ،
واحدها وضح : التحجيل في القوائم . الغرر ، واحدها غرة : بياض
في الجبهة .

من جاد أولاً وضم آخراً

نزل أعرابيٌّ برجلٍ من أهلِ البصرة ، فأكرمه وأحسن
إليه ؛ ثم أمسك فقال الاعرابي :

تسرّى ، فلما حاسبَ المرءُ نفسه ،
رأى أنّه لا يستقرُّ له السُّرو^١

•

وكان يزيدُ بن منصورٍ يجري لبشارٍ العقيليِّ وظيفةً في
كلِّ شهر ، ثم قطعها عنه ، فقال :

أبا خالد ! ما زلتَ سابحَ غمرةٍ
صغيراً ، فلما سبَّتَ خيَّمَتَ بالشاطي^٢

جرّيتَ زماناً سابقاً ، ثم لم تزل
تأخّرُ حتى جئتَ تقطو مع القاطي^٣

١ تسرى : تكلف السرو ، وهو المروءة في شرف .

٢ خيم : أقام .

٣ القاطي : الثقيل المشي .

كسَنُور عبدِ الله بيعَ بَدْرُهُم
صَغِيرًا ، فلما شَبَّ بيعَ بِقِرَاطٍ



وقال مُسلم بن الوليد صريعُ الغواني لمحمد بن منصور
ابن زياد :

أبا حَسَنِ قد كُنْتَ قَدِّمْتَ نِعْمَةً ،
وَأَلْحَقْتَ شُكْرًا ، ثُمَّ أَمْسَكَتَ وَأَنِيَا
فَلَا ضَيَّرَ لَمْ تَلْجَحِقْكَ مِنِّي مَلَامَةً ،
أَسَأْتَ بِنَا عَوْدًا ، وَأَحْسَنْتَ بَادِيَا
فَأَقْسِمُ لَا أَجْزِيكَ بِالشَّوْءِ مِثْلَهُ ؛
كَفَى بِالَّذِي جَارَيْتَنِي لَكَ جَارِيَا



١ سنور عبد الله : يضرب مثلاً لمن يكون مرجوًّا في صغره فاذا كبر تراجع ولم يفلح .

من صن أولا ثم جاد آخرأ

قدم الحارثُ بن خالدِ المَخْزُومِيَّ على عبدِ الملك فلم يَصِلْهُ
فرجع وقال فيه :

صَحْبَتُكَ إِذْ عَيَّنِي عَلَيْهَا غِشَاوَةٌ ،
فلما انجَلَتْ قَطَعْتَ نَفْسِي الْوَمُهَا

حَبَسْتَ عَلَيَّكَ النَّفْسَ ، حَتَّى كَأَنَّمَا
بِكَفَيْكَ يَجْرِي بُوْسُهَا وَنَعِيمُهَا

فبلغ قوله عبد الملك ، فأرسل إليه فردّه ، وقال :
أرأيتَ عليك غَضَاةً من مقامك بباي ؟

قال : لا ، ولكنني اشتقتُ إلى أهلي ووطني ، ووجدت
فضلاً من القول ، فقلت : وعليّ دَيْنٌ لزماني .

قال : وكم دَيْنُكَ ؟

قال : ثلاثون ألفاً .

قال : فقضاءُ دَيْنِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ وَلَايَةُ مَكَّةَ ؟

قال : بل وَلَايَةُ مَكَّةَ .

فولاه إياها .

وقدِمَ الحُطَيْبَةُ المَدِينَةَ فَوَقَفَ الى عُتَيْبَةَ بنِ النَّهْشِ
العِجْلِيِّ فَقَالَ : أَعْطِنِي .

فَقَالَ : مَا لَكَ عِنْدِي حَقٌّ فَأَعْطِيكَهُ ، وَمَا فِي مَالِي فَضْلٌ
عَنْ عِيَالِي فَأَعُوذَ بِهِ عَلَيْكَ .

فَخَرَجَ عَنْهُ مُغَضَّباً ، وَعَرَفَهُ بِهِ جَلَسَاؤُهُ ، فَأَمَرَ بِرَدِّهِ ، ثُمَّ
قَالَ لَهُ : يَا هَذَا ، إِنَّكَ وَقَفْتَ إِلَيْنَا فَلِمَ تَسْتَأْنِسُ ، وَلِمَ تَسَلِّمُ ،
وَكَتَمْنَا نَفْسَكَ ، كَأَنَّكَ الحُطَيْبَةُ ؟ قَالَ : هُوَ ذَلِكَ .

قَالَ : اجْلِسْ ، فَلَكَ عِنْدَنَا كُلُّ مَا تُحِبُّ .

فَجَلَسَ ، فَقَالَ لَهُ : مِنْ أَشْعُرِ النَّاسِ ؟

قَالَ : الَّذِي يَقُولُ :

وَمَنْ يَجْعَلِ المَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ
يَفْرَهُ ، وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشُّتْمَ يُشْتَمُ .

يَعْنِي زُهَيْرًا . قَالَ : ثُمَّ مِنْ ؟

قَالَ : الَّذِي يَقُولُ :

مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ يَجْرِمُوهُ ، وَسَأَلُ اللّهِ لَا يَخِيبُ .

يَعْنِي عَبِيدًا . قَالَ : ثُمَّ مِنْ ؟

قَالَ : أَنَا .

فَقَالَ لَوْ كَيْلَهُ : خَذْ بِيَدِ هَذَا فَاْمُضْ بِهِ إِلَى السُّوقِ ، فَلَا
تُشِيرَنَّ إِلَى شَيْءٍ إِلَّا اشْتَرَيْتَهُ لَهُ .

فمضى معه الى السوق فعرضَ عليه الحَزَّ والقَزَّ ، فلم
يلتفت الى شيء منه . وأشار الى الأكسية والكرابيس^١ الغِلاظ
والأقبية^٢ فاشتري له منها حاجته ، ثم قال : أمسك .
قال : فإنه قد أمرني أن أبسط يدي بالنفقة .
قال : لا حاجةَ في أن يكون له على قومي يدٌ أعظم من
هذه ، ثم أنشأ يقول :

سُئِلْتُ ، فلم تَبْخُلْ ولم تُعْطِ طائلاً ،
فسيانٍ لا ذمٌّ عليك ولا حمْدُ
وأنتَ امرؤٌ لا الجودُ منك سَجِيَّةٌ ،
فتُعْطِي ، وقد يُعْدي على النَّائِلِ الوُجْدُ^٣

-
- ١ الكرابيس ، واحدها كرباس : ثوب غليظ من القطن الأبيض .
٢ الأقبية ، واحدها قباء : وهو ما يسمى الغنباز .
٣ يعدي : يعين . الوجد : اليسار والسعة .

من مدح أميراً فخييه

قال سعيد بن سلم : مدحني أعرابي فأبلغ ، فقال :

ألا قل لساري الليل : لا تخش ضلّة ،
سعيد بن سلم نور كل بلاد

لنا سيّد ، أربي على كل سيّد ،
جواد ، حثا في وجه كل جواد

قال : فتأخرت عنه قليلاً . فهجاني فأبلغ ، فقال :

لكل أخي مدح ثواب علمته ،
وليس لمدح الباهلي ثواب

مدحت سعيداً ، والمديح مهزّة ،
فكان كصفوان عليه تراب



١ حثا : اي حثا التراب ، في وجوه الاجواد ، اي الكرماء ، واراد بذلك ان الاجواد يقصرون عنه في العطاء فيسبقهم سبق الجواد الكريم الذي يشير الغبار في وجه المتخلف عنه من الخيل .

٢ قوله مهزة : اي يهز للمعروف . الصفوان : الحجر الصلد .

ومدح الحسن بن رجاء أبا دلف فلم يُعْطِهِ شيئاً ، فقال :

أبا دلف ما أكذب الناسَ كلَّهم
سِوَايَ ، فَإِنِّي فِي مَدْحِكَ أَكْذِبُ

•

وقال آخرُ في مثل هذا المعنى :

إِنِّي مَدَحْتُكَ كَاذِباً ، فَأَثْبَتَنِي ،
لَمَّا مَدَحْتُكَ ، مَا يُثَابُ الْكَاذِبُ

•

وقال آخرُ في مثل هذا المعنى :

لئن أخطأتُ في مَدْحِكَ ، مَا أَخْطَأْتُ فِي مَنْعِي
لَقَدْ أَحْلَلْتُ حَاجَاتِي بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ

•

ومدح حبيب الطائي عيَّاش بن لهيعة ، وقدمَ عليه
مصرً ، واستسلفه مائتي مثقالٍ ؛ فشاور فيها زوجته ، فقالت
له : هو شاعرٌ يمدحُك اليومَ ، ويهجوك غداً ؛ فاعتلَّ عليه
واعتذرَ إليه ولم يقضِ حاجته . فقال فيه :

عيَّاشُ إِنَّكَ كَلِّمْتُ ، وَإِنِّي مُدْصِرَتَ مَوْضِعَ مَطْلَبِي كَلِّمْتُ

ثم هجاه حتى مات . وهجاه بعد موته ، فقال فيه :

لَا سُقِيَتْ أَطْلَالُكَ الدَّائِرَةَ ، وَلَا انْقَضَتْ عَثْرَتُكَ الْعَاثِرَةَ
يَا أَسَدَ الْمَوْتِ تَخَلَّصْتَهُ مِنْ بَيْنِ فَكَّيْ أَسَدِ الْقَاصِرَةِ ١



وَمِنْ قَوْلِنَا فِي هَذَا الْمَعْنَى ، وَسَأَلْتُ بَعْضَ مَوَالِي السُّلْطَانِ
إِطْلَاقَ مَحْبُوسٍ ، فَتَلَكَّأَ فِيهِ ، فَقُلْتُ :

حَاشَا لِمِثْلِكَ أَنْ يَفُكَّ أَسِيرًا ،
أَوْ أَنْ يَكُونَ مِنَ الزَّمَانِ مُجِيرًا
لَبِستُ قَوَافِي الشَّعْرِ فِيكَ مَدَارِعًا
سُودًا ، وَصَكَّتْ أَوْجُهًا وَصُدُورًا
هَلَاةً عَظَفْتَ بِرَحْمَةٍ ، لَمَّا دَعَتْ
وَيْلًا عَلَيْكَ مَدَائِحِي ، وَثُبُورًا
لَوْ أَنَّ لُؤْمَكَ عَادَ جُودًا عُسْرُهُ ،
مَا كَانَ عِنْدَكَ حَاتِمٌ مَذْكُورًا



قَالَ : وَمَدَحَ رَبِيعَةَ الرَّقَّاسِيِّ يَزِيدَ بْنِ حَاتِمٍ الْأَزْدِيِّ ، وَهُوَ
وَالِي مِصْرَ ، فَاسْتَبْطَأَهُ رَبِيعَةُ . فَشَخَّصَ عَنْهُ مِنْ مِصْرَ وَقَالَ :

١ القاصرة : موضع يميز به السائر إذا سار من مكة يقصد مصر .

أُراني ، ولا كُفْرانَ لله ، راجعاً
بِخُفْيِ حُنينٍ من نوالِ ابنِ حاتمٍ

فبلغَ قولهُ يزيدَ بنِ حاتمٍ . فأرسلَ في طلبه ، فردَّ إليه .
فلما دَخَلَ عليه قال له : أنتَ القائلُ :

أُراني ، ولا كُفْرانَ لله ، راجعاً

قال : نعم .

قال : فهل قلتَ غيرَ هذا ؟

قال : لا والله !

قال : لترجعنَّ بِخُفْيِ حُنينٍ مملوءٍ مالاً .

فأمرَ بِجَلْعِ نَعْلَيْهِ ومُلَيْتَا له مالاً ؛ فقالَ فيه لما عُزِلَ
عن مصرَ ووُلِّيَ يزيدُ بنُ أُسَيْدِ السُّلَمِيِّ مكانه :

بكى أهلُ مصرٍ بالدِّموعِ السَّواجمِ ،
غداةَ غداَ منها الأغرُّ ابنُ حاتمٍ

وفيهما يقول :

لشَتَّانَ ما بينَ اليزيديَّينِ في النَّدَى :
يزيدٍ سُليمٍ والأغرُّ ابنُ حاتمٍ

فَهُمُ الْفَتَى الْأَزْدِيُّ إِنْفَاقُ مَالِهِ ،
وَهُمُ الْفَتَى الْقَيْسِيُّ جَمْعُ الدَّرَاهِمِ
فَلَا يَحْسَبُ التَّمَتُّامُ أَنِّي هَجَوْتُهُ ،
وَلَكِنِّي فَضَّلْتُ أَهْلَ الْمَكَارِمِ

أجواد اهل الجاهلية

الذين انتهى إليهم الجودُ في الجاهلية ثلاثة نفر : حاتمُ بنُ عبد الله بن سعد الطائي ، وهَرَمُ بنِ سنانِ المُرِّي ، وكعب ابن مامةَ الأيادي .

ولكنَّ المضروبَ به المثل : حاتمٌ وحده ، وهو القائلُ
لغلامه يسارٍ ، وكان إذا اشتدَّ البردُ وكَلِبَ الشتاءُ أمر
غلامه فأوقد ناراً في يَفَاعٍ^١ من الأرض لينظرَ إليها مَنْ
أضلَّ الطريقَ ليلاً فيصمِدَ نحوه ، فقال في ذلك :

أوقِدْ ! فَإِنَّ اللَّيْلَ لَيْلٌ قَرٌّ ، والريحَ يا مُوقِدُ ريحٌ صرٌّ
عسى يرى ناركَ من يَمَرٍّ ؛ إن جَلِبَتْ ضيفاً فَأَنْتَ حُرٌّ
ومرٌّ حاتمٌ في سَفَرِهِ على عَنَزَةٍ ، وفيهم أسيرٌ . فاستغاثَ
بحاتمٍ ولم يحضره فكَأَكُهُ ، فاشتراه من العَنَزِيِّينَ وأطلقه ،
وأقام مكانه في القيدِ حتى أدَّى فِدَاءَهُ .

وقالوا : لم يكن حاتمٌ مُسَكِّاً شيئاً ما عدا فرسه وسلاحه ؛
فإنه كان لا يجود بهما .

١ الفاع : التل .

وقالت نوارُ امرأة حاتم : أصابتنا سنةٌ اقشَعَرَّت لها
الأرضُ واغْبَرُ أفقُ السماء ، وراحت الإبلُ حُدْباً حُدَيباً^١ ،
وضنَّت المراضِعُ على أولادِها فما تَبَضُّ بقطرة ، وحلقت^٢
السنةُ المالَ وأيقنَّا بالهلاك .

فوالله إنَّا لفي ليلةٍ صَبْرٍ^٣ ، بعيدةٍ ما بين الطَّرفين ، إذ
تَضاغى^٤ صَبَيْتُنَا جوعاً ، عبدُ الله وعديّ وسَفَّانَةُ ، فقام حاتم
إلى الصَّبِيِّينِ ، وقُمْتُ أنا إلى الصَّبِيَّةِ ؛ فوالله ما سَكَتُوا إلا
بعدَ هداةٍ من الليل .

وأقبلَ يعلِّلُني بالحديثِ ، فعرفتُ ما يُريدُ فتناومت .
فلما تَهَوَّرتِ^٥ النجومُ ، إذا شيءٌ قد رَفَعَ كِسْرَ البيتِ^٦
ثم عاد ؛ فقال : من هذا ؟

قالت : جارتُكَ فلانةُ ، أتيتُكَ من عندِ صَبِيَّةٍ يتعاونون
عواءَ الذئابِ ، فما وجدتُ مُعوَلاً إلاَّ عليك يا أبا عديّ .
فقال : أعجَلِيهم فقد أَشْبَعَكَ اللهُ وإِيَّاهم .

١ الحداير ، واحدها حديار وحدير : الناقة الضامرة .

٢ حلقت المال : اهلكته واستأصلته كما تحلق الموصى الشعر .

٣ صبر : شديدة البرد .

٤ تضاعى : صاح .

٥ تهورت : ذهبت وولت .

٦ كسر البيت : الشقة السفلى من الحباء .

فأقبلت المرأة تحملُ اثنين ويمشي جانبيها أربعة ، كأنها
نعامَةٌ حولها رثالها ، فقام الى فرسه فوجأ لبته^١ بمُدِيَةٍ
فخرٌ ، ثم كَشَطَهُ عن جِلْدِهِ ودفع المُدِيَةَ الى المرأة ، فقال
لها : شَأْنُكَ .

فاجتمعنا على اللحم نَشْوِي ونأكل ، ثم جعل يمشي في الحيِّ
يأتيهم بيتاً بيتاً ، فيقول : هُبُّوا أيها القومُ عليكم بالنار .

فاجتمعوا والتفَعَّ^٢ في ثوبه ناحيةً ينظرُ إلينا ، فلا والله
إن^٣ ذاق منه مُزْعَةً^٤ ، وإنه لأحوجُ إليه مِنَّا ، فأصَبَحْنَا وما
على الأرضِ من الفرسِ إلا عَظْمٌ وحافرٌ ، فأنشأ حاتم يقول :

مَهْلًا نَوَارُ! أَقْلِي اللومَ والعَدْلَا ،
ولا تقُولِي لشيءٍ فَاتَ : ما فعَلَا ؟

ولا تقُولِي لِمَالٍ كُنْتُ مُهْلِكُهُ :
مَهْلًا ، وإن كُنْتُ أُعْطِي الْإِنْسَ وَالْحَبْلَا

يرى البَخِيلُ سَبِيلَ المَالِ وَاحِدَةً ؛
إنَّ الجَوَادَ يرى في ماله سَبِيلَا

١ وجأ : شق . لبته : أعلى صدره .

٢ التفَعَّ : التف .

٣ ان : ما .

٤ المزعة : القطعة من اللحم .

٥ الحبل : الجن .

ورؤي حاتم يوماً يضربُ ولده لما رآه يضربُ كلبه
كانت تدلُّ عليه أضيافه ، وهو يقول :

أقولُ لابني ، وقد سَطَّتْ يديه بـكَلْبَةٍ لا يزالُ يَجْلِدُهَا
أوصيكَ خيراً بها ، فإنَّ لها عندي يداً لا أزالُ أَحْمَدُهَا
تدلُّ ضَيْفِي عليّ ، في غَلَسِ الليل ، إذا النارُ نامَ مُوقِدُهَا
وذكرت طيءَ عند عديّ بنِ حاتم : أنَّ رجلاً يُعرَفُ بأبي
الخبيريِّ مرَّ بقبرِ حاتم فنزل به وجعل ينادي : أبا عديّ ،
أقرِ أضيافك .

قال : فيقال له : مهلاً ! ما تُكلِّمُ من رِثَةٍ باليةٍ ؟
فقال كالمستهزئ : إن طيِّباً يزعمون أنه لم ينزل به أحد
إلا قرأه .

فلما كان في السَّحَرِ وثب أبو الخبيري يصيح : وارا حلتاه !
فقال له أصحابه : ما شأنك ؟

قال : خرجَ والله حاتمٌ بالسيفِ حتى عَقَرْنَا قَتِي وأنا أنظرُ إليها .
فتأملوا راحلتَه فإذا هي لا تنبعثُ ، فقالوا : قد والله أقرأك .
فبحروها وظلُّوا يأكلون من لحمِها ، ثم أَرَدْفُوهُ وانطلقوا .

١ سَطَّتْ يديه : ضربتهما بالسوط . بكَلْبَةٍ : أي بسبب كلبه كان يجلدُها .

فبينما هم في مَسِيرِهِمْ إِذْ طَلَعَ عَلَيْهِمْ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ وَمَعَهُ
جَمَلٌ قَدِ قَسَرَنَهُ بِبَعِيرِهِ ، فَقَالَ : إِنْ حَاتِمًا جَاءَ فِي النَّوْمِ فَذَكَرَ
لِي قَوْلَكَ وَأَنَّهُ أَقْرَأَكَ وَأَصْحَابَكَ رَاحِلَتِكَ وَقَالَ لِي أُبَيَاتًا
رَدَّدَهَا عَلَيَّ حَتَّى حَفَظْتُهَا وَهِيَ :

أَبَا الْخَيْبَرِيِّ ، وَأَنْتَ امْرُؤٌ حَسُودُ الْعَشِيرَةِ ، شَتَّامُهَا
فَمَاذَا أَرَدْتَ إِلَى رِمَّةٍ بَدَاوِيَّةٍ ، صَخْبٍ هَامُهَا ؟
أَتَبْغِي أَذَاهَا وَإِعْسَارَهَا ، وَحَوْلَكَ غَوْثٌ وَأَنْعَامُهَا ؟
وإِنَّا لَنُطْعِمُ أَضْيَافَنَا مِنَ الْكُومِ ، بِالسَّيْفِ نَعْتَامُهَا^١
وَأَمْرِنِي بِدَفْعِ رَاحِلَةٍ عَوْضَ رَاحِلَتِكَ فَخُذْهَا ؛ فَأَخُذَهَا .

وَلِحَاتِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَيْضًا :

أَمَاوِيٌّ ! قَدْ طَالَ التَّجَنُّبُ وَالْهَجْرُ ،
وَقَدْ عَذَّرْتَنَا عَنْ طِلَابِكُمُ الْعُذْرُ ،

-
- ١ الدَاوِيَّةُ : الْفَلَاةُ . الْهَامُ ، وَاحِدَتُهَا هَامَةٌ : طَائِرٌ زَعَمَتِ الْعَرَبُ أَنَّهُ يُخْرَجُ مِنْ
رَأْسِ الْقَتِيلِ فَلَا يَزَالُ يَصِيحُ اسْقَوْنِي اسْقَوْنِي حَتَّى يُوْخَذَ بِثَأْرِهِ .
٢ هُوَ الْغَوْثُ بْنُ طِيٍّ ، جَدُّ حَاتِمِ الْأَعْلَى وَآلِيهِ يَنْتَهِي نَسَبُهُ .
٣ الْكُومُ ، وَاحِدَتُهَا كُومَاءُ : النَّاقَةُ الْعَظِيمَةُ السَّنَامُ . نَعْتَامُهَا : نَخْتَارُهَا .
٤ الْعُذْرُ ، وَاحِدَتُهَا عُذَارٌ : مَا سَأَلَ عَلَى خَدِّ الْفَرَسِ مِنَ اللَّجَامِ .

أماويّ ! إنّ المالَ غنادٌ ورائحٌ ،
ويَبْقَى من المالِ الأحاديثُ والذِّكْرُ

أماويّ ! إمّا مانعٌ فمُبَيّنٌ ؛
وإمّا عطاءٌ لا يُسَهِّلُهُ الزَّجْرُ^١

أماويّ ! إني لا أقولُ لسائلٍ ،
إذا جاء يوماً ، حلّ في مالي النَّذْرُ

أماويّ ! ما يُغني الثَّرَاءُ عن الفَقْيِ ،
إذا حَشَرَ جَتَ يوماً وضاقَ بها الصَّدْرُ^٢

أماويّ ! إنّ يُصبحَ صَدايَ بِقَفْرَةٍ
من الأرضِ ، لا ماءٌ لديّ ولا خمرُ

تَرَيَ أنّ ما أنفقتُ لم يكُ ضَرَّتِي ؛
وأنّ يدي بما بَخِلْتُ به صَفْرُ

إذا أنا دَلَّني الذينَ يُلُونَنِي
بِمُظْلِمَةٍ لُجٍّ ، جوانِبُها غُبْرُ^٣

١ يَنْهِنُهُ : يَكْفُهُ وَيَقْنَعُهُ .

٢ حَشَرَ جَتَ ، أَي نَفْسَهُ ، وَالْحَشْرَجَةُ : الْغُرْغُرَةُ عِنْدَ الْمَوْتِ .

٣ بِمُظْلِمَةٍ لُجٍّ : أَي حَفْرَةٍ عَمِيقَةٍ .

وراحوا سِرَاعاً يَنْفِضُونَ أَكْفَهُمْ ،
يقولون : قد أدمى أَظْفَرَنَا الْحَفَرُ

أَمَاوِيَّ ! إِنَّ الْمَالَ مَالٌ بَذَلْتُهُ ،
فَأَوَّلُهُ شُكْرٌ وَآخِرُهُ ذِكْرُ

وقد يَعْلَمُ الْأَفْوَاهُ ، لو أَنَّ حَاتِمًا
أَرَادَ ثَرَاءَ الْمَالِ ، كَانَ لَهُ وَفَرُ

فَإِنِّي ، وَجَدْتِي ، رَبٌّ وَاحِدٌ أُمُّهُ
أَجَرْتُ ، فَلَا قَتْلٌ عَلَيْهِ وَلَا أَسْرُ

وَلَا أَظْلِمُ ابْنَ الْعَمِّ ، إِنْ كَانَ إِخْوَتِي
شُهُودًا ، وَقَدْ أَوْدَى بِإِخْوَتِهِ الدَّهْرُ

غَنِينَا زَمَانًا بِالتَّصَعُّكِ وَالْغِنَى ،
وَكُلًّا سَقَانَاهُ بِكَاسَيْهِمَا الدَّهْرُ

فَمَا زَادَنَا بَأَوًّا عَلَى ذِي قَرَابَةٍ
غِنَانًا ، وَلَا أَزْرَى بِأَحْلَامِنَا الْفَقْرُ

١ التصعك : الفقر .

٢ البأو : أن يفخر المرء بنفسه ويرفعها .

وَأَمَّا هَرَمُ بْنُ سِنَانٍ فَهُوَ صَاحِبُ زُهَيْرٍ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ :

مَتَى تُلَاقِ ، عَلَى عِلَاتِيهِ ، هَرِمًا ،
تَلْقَ السَّمَاحَةَ فِي خَلْقٍ وَفِي خَلْقٍ

وَكَانَ سِنَانُ أَبُو هَرَمٍ سَيِّدَ غَطَفَانَ ، وَمَاتَتْ أُمُّهُ وَهِيَ
حَامِلٌ بِهِ ، وَقَالَتْ : إِذَا أَنَا مِتُّ فَشَقُّوْا بَطْنِي فَإِنَّ سَيِّدَ
غَطَفَانَ فِيهِ . فَلَمَّا مَاتَتْ شَقُّوْا بَطْنَهَا فَاسْتَخْرَجُوا مِنْهُ سِنَانًا .
وَفِي بَنِي سِنَانَ يَقُولُ زُهَيْرُ :

قَوْمٌ أَبُوهُمْ سِنَانٌ ، حِينَ تَنْسِبُهُمْ ،
طَابُوا وَطَابَ مِنَ الْأَوْلَادِ مَا وَلَدُوا

لَوْ كَانَ يَقْعُدُ ، فَوْقَ الشَّمْسِ ، مِنْ كَرَمٍ ،
قَوْمٌ بِأَوَّلِهِمْ أَوْ بِمَجْدِهِمْ قَعَدُوا

جِنٌّ إِذَا فَزِعُوا ، إِنْسٌ إِذَا أَمِنُوا ،
مُرْزُؤُونَ ، بِهَالِيلٍ إِذَا قُصِدُوا

مُحْسَدُونَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ نِعَمٍ ،
لَا يَنْزِعُ اللَّهُ مِنْهُمْ مَا لَهُ حُسِدُوا

وَقَالَ زُهَيْرٌ فِي هَرَمِ بْنِ سِنَانَ :

وَأَبْيَضَ فَيَّاضٍ ، يَدَاهُ غِمَامَةٌ
عَلَى مُعْتَفِيهِ ، مَا تُغِيبُ نَوَائِلُهُ ١

تراه ، إذا ما جِئْتَهُ ، مُتَهَلِّلًا ،
كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ

أَخُو ثِقَةٍ ، لَا تُتْلِفُ الْخَمْرُ مَالَهُ ،
وَلَكِنَّهُ قَدْ يُتْلِفُ الْمَالُ نَائِلُهُ

أَخَذَ الْحَسَنُ بْنُ هَانِيٍّ هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ :

فَقِيَ لَا تَغُولُ الْخَمْرُ شَحْمَةَ مَالِهِ ،
وَلَكِنْ أَيْادٍ عُودٌ وَبَوَادِي

وَقَالَ زَهِيرٌ فِي هَرَمِ بْنِ سَنَانٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ :

إِلَيْكَ أَعْمَلْتُهَا فُتْلًا مَرَاغِقُهَا ،
شَهْرَيْنِ ، يَجْهَضُ مِنْ أَرْحَامِهَا الْعَلَقُ

حَتَّى دَفَعْنِ إِلَى حُلُوِّ شَمَائِلِهِ ،
كَالْعَيْثِ يَنْبُتُ فِي آثَارِهِ الْوَرَقُ

مِنْ أَهْلِ بَيْتِ بَرَى ذُو الْعَرْشِ فَضْلَهُمْ ،
يُبْنَى لَهُمْ ، فِي جِنَانِ الْحُلْدِ ، مُرْتَفَقُ

الْمُطْعَمُونَ ، إِذَا مَا أَرْمَتْ أَرْمَتَ ،
وَالطَّيِّبُونَ ثِيَابًا ، كُلَّمَا عَرَقُوا

كَأَنَّ آخِرَهُمْ ، فِي الْجُودِ ، أَوَّلُهُمْ ؛
إِنَّ الشَّمَائِلَ وَالْأَخْلَاقَ تَتَقَّقُ

إِنْ قَامَرُوا قَمَرُوا ، أَوْ فَاخَرُوا فَاخَرُوا ،
أَوْ نَاضَلُوا نَاضَلُوا ، أَوْ سَابَقُوا سَبَقُوا

تَمَافَسُ الْأَرْضُ مَوَاتَهُمْ ، إِذَا دُفِنُوا ،
كَمَا تُسَوِّفَسُ عِنْدَ الْبَاعَةِ الْوَرَقُ ' ١

وَقَالَ فِيهِمْ أَيْضًا :

وَفِيهِمْ مَقَامَاتٌ ، حِسَانٌ ، وَجُوهُهُمْ ،
وَأَنْدِيَةٌ يَنْتَابُهَا الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ

عَلَى مُكَثَرِهِمْ حَقٌّ مَنْ يَعْتَقِبُهُمْ ،
وَعِنْدَ الْمُقْلَتَيْنِ السَّمَاحَةُ وَالْبَذَلُ

فَمَا كَانَ مِنْ خَيْرٍ أَتَوْهُ ، فَإِنَّمَا
تَوَارَثَهُ آبَاءُ آبَائِهِمْ قَبْلُ

وَهَلْ يُنْبِتُ الْحَطَّيُّ إِلَّا وَشِجْهَهُ ،
وَتُغْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا النَّخْلُ ؟

وأما كعبُ بن مامةَ الأياديّ، فلم يأتِ عنه إلا ما ذُكِرَ
من إيثاره رفيقه النعمريّ بالماء حتى مات عطشاً ونجا النعمريّ،
وهذا أكثرُ من كل ما أُنفي لغيره .

وله يقول حبيب :

يجودُ بالنفسِ إن ضنَّ البَخيلُ بها ،
والجودُ بالنفسِ أقصى غايةِ الجودِ

وله ولحاتم الطائي يقول :

كعبٌ وحاتمٌ ، اللذان تقسّما
نُحطَّطَ العلّا من طارفٍ وتكليدِ
هذا الذي خَلَفَ السَّحابَ ، ومات ذاء ،
في المجدِ ، مِيتَةً خَضِرْمٍ صَنَدِيدِ
إلاَّ يَكُنْ فيها الشَّهيدَ ، فقومُوه
لا يَسْمَحُونَ بِهِ بِألفِ شَهِيدِ

أجواد أهل الاسلام

وأما أجوادُ أهلِ الاسلام فأحدَ عشرَ رجلاً في عصرٍ واحدٍ
لم يكن قبائهم ولا بعدهم مثلهم .

فأجوادُ الحجازِ ثلاثةٌ في عصرٍ واحدٍ : عُبيدُ الله بن عباس ،
وعبدُ الله بن جعفر ، وسعيد بن العاص .

وأجواد البصرة خمسة في عصر واحد ، وهم : عبدُ الله بن
عامر بن كُرَيْز ، وعُبيدُ الله بن أبي بكر ، مولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، ومُسلم بن زياد ، وعُبيد الله بن معمر القرشي ،
ثم التَّيْمِيُّ ، وطلحةُ الطَّلَحَات ، وهو طلحةُ بن عبد الله
ابن خلف الخُزَاعِيّ ، وله يقول الشاعر يرثيه ، ومات بِسِجِسْتَانَ
وهو والٍ عليها :

نَصَّرَ اللهُ أَعْظَمًا دَفَنُوهَا بِسِجِسْتَانَ ، طَلْحَةَ الطَّلَحَاتِ

وأجوادُ أهل الكوفةِ ثلاثةٌ في عصرٍ واحد ، وهم : عَتَّابُ
ابن ورقاء الرِّيَّاحِي ، وأسماءُ بن خارجة الفَزَارِي ، وعِكرمةُ
ابن رَبِيعِي الفَيَّاض .

فمن جود عبيد الله بن عباس ، أنه أول من فطر جيرانه ،
وأول من وضع الموائد على الطرُق ، وأول من حيا على
طعامه ، وأول من أنهبه ، وفيه يقول شاعر المدينة :

وفي السنة الشهباء أطعمت حامضاً
وحلواً ، ولحمًا تامكاً وممزجاً

وأنت ربيعٌ لليتامى وعصمةٌ ،
إذا المحلُ من جو السماء تطلعا

أبوك أبو الفضل الذي كان رحمةً ،
وغوثاً ونوراً للخلائق أجمعاً



ومن جوده : أنه أتاها رجل وهو بفناء داره ، فقام بين يديه
فقال : يا بن عباس ، إن لي عندك يداً ، وقد احتجت إليها .

فصعد فيه بصره وصوبه ، فلم يعرفه ، ثم قال له : ما
يدك عندنا ؟

قال : رأيتك واقفاً بزمزم وغلامك يمتح^٢ لك من
مائها ، والشمس قد صهرتك ، فظلمتُك بطرف كِسائي
حتى شربت .

١ السنة الشهباء : التي لا خضرة فيها ولا مطر . تامكاً : مكتزاً . ممزجاً :
مقطعاً مفزقاً .

٢ يمتح : يستقي .

قال : إني لأذكرُ ذلك ، وإنه يتودّدُ بين خاطري وفكري .

ثم قال لقيّمه : ما عندك ؟

قال : مائتا دينار وعشرة آلاف درهم .

قال : فادفعها إليه وما أراها تنفي بحقّ يده عندنا .

فقال له الرجل : والله لو لم يكن لإسماعيل ولدٌ غيرك لكان فيه ما كفاه ، فكيف وقد ولد سيّد الأولين والآخرين محمداً صلى الله عليه وسلم ، ثم شفّعه بك وبأبيك !



ومن جوده أيضاً : أن معاوية حبس عن الحسين بن علي صلّاته حتى ضاقت عليه حاله . فقليل له : لو وجهت إلى ابن عمك 'عبيد الله' ، فإنه قد قدم بنحو من ألف ألف درهم . فقال الحسين : وأين تقع ألف ألف من 'عبيد الله' ، فوالله هو أجود من الريح إذا عصفت ، وأسخر من البحر إذا زخر .

ثم وجهه إليه مع رسوله بكتاب ذكر فيه حبس معاوية عنه صلّاته وضيق حاله ، وأنه يحتاج إلى مائة ألف درهم . فلما قرأ 'عبيد الله' كتابه ، وكان من أرق الناس قلباً والينهم عطفاً ، انهملت عيناه ، ثم قال : ويلك يا معاوية ممّا

اجترحت يدك من الإثم حين أصبحت لبين المهاد ، رفيع
 العِمَادِ ، والحُسَيْنُ يشكو ضيقَ الحالِ ، وكثرةَ العيالِ !
 ثم قال لقهرمانه : احمِلِ إلى الحُسَيْنِ نصفَ ما أملكُ
 من فضةٍ وذهبٍ وثوبٍ ودابةٍ ، وأخبره أني شاطرته
 مالي ، فإن أقنعه ذلك وإلا فارجع واحمِلِ إليه الشَّطْرَ الآخرَ .
 فقال له القيمُّ : فهذه المؤنُّ التي عليك من أين تقوم بها ؟
 قال : إذا بلغنا ذلك دللتك على أمرٍ يُقيمُ حالَكَ .
 فلما أتى الرسولُ برسالتِهِ إلى الحُسَيْنِ ، قال : إنا لله !
 حملتُ والله على ابنِ عمي وما حسبتُهُ يتَّسعُ لنا بهذا كتته .
 فأخذ الشطرَ من ماله . وهو أولُ من فعلَ ذلك في
 الإسلامِ .

ومن جوده : أن معاويةَ بنَ أبي سُفيانَ أهدى إليه وهو
 عنده بالشامِ من هدايا النِّيرُوزِ حُللاً كثيرةً ومِسْكَاً وآنيةً
 من ذهبٍ وفضةٍ ووجَّهها مع حاجبه ، فلما وضعها بين يديه
 نظرَ إلى الحاجبِ وهو ينظرُ إليها ، فقال : هل في نفسك
 منها شيء ؟

قال : نعم والله ، إنَّ في نفسي منها ما كان في نفسِ
 يعقوبَ من يوسفَ عليهما السلامِ .

فَضَحِكَ عُبَيْدُ اللَّهِ ، وَقَالَ : فَشَأْنُكَ بِهَا فَهِيَ لَكَ .
قَالَ : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، أَخَافُ أَنْ يَبْلُغَ ذَلِكَ مَعَاوِيَةَ
فَيَجِدَ عَلِيَّ .

قَالَ : فَاخْتِمِهَا بِخَاتَمِكَ وَادْفَعْهَا إِلَى الْخَازِنِ فَإِذَا حَانَ
خُرُوجُنَا حَمَلَهَا إِلَيْكَ لَيْلًا .

فَقَالَ الْحَاجِبُ : وَاللَّهِ كَهَذِهِ الْحِيلَةُ فِي الْكَرَمِ أَكْثَرُ مِنْ
الْكَرَمِ ، وَلَوْ دِدْتُ أَنِّي لَا أَمُوتُ حَتَّى أَرَاكَ مَكَانَهُ ،
يَعْنِي مَعَاوِيَةَ .

فَظَنَّ عُبَيْدُ اللَّهِ أَنَّهَا مَكِيدَةٌ مِنْهُ ، قَالَ : دَعْ عَنْكَ هَذَا
الْكَلَامَ فَإِنَّا قَوْمٌ نَفِي بِمَا وَعَدْنَا ، وَلَا نَنْقُضُ مَا أَكَّدْنَا .

وَمِنْ جُودِهِ أَيْضًا : أَنَّهُ أَتَاهُ سَائِلٌ وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ ، فَقَالَ
لَهُ : تَصَدَّقْ ، فَإِنِّي نَبِّئْتُ أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَعْطَى سَائِلًا
أَلْفَ دِرْهَمٍ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ .

فَقَالَ لَهُ : وَأَيْنَ أَنَا مِنْ عُبَيْدِ اللَّهِ ؟

قَالَ : أَيْنَ أَنْتَ مِنْهُ فِي الْحِسْبِ أَمْ كَثْرَةِ الْمَالِ ؟

قَالَ : فِيهِمَا .

قَالَ : أَمَّا الْحِسْبُ فِي الرَّجُلِ ، فَمَرْوَعَتُهُ وَفِعْلُهُ ، وَإِذَا
شَتَّتْ فَعَلَتْ ، وَإِذَا فَعَلَتْ كُنْتَ حَسِيبًا .

فأعطاه ألفي درهمٍ واعتذر له من ضيق الحال ؛ فقال له
السائل : إن لم تكن عبيدَ الله بن عبّاس فأنت خيرٌ منه ،
وإن كنتَ هو فأنتَ اليومَ خيرٌ منك أمس .
فأعطاه ألفاً أخرى . فقال السائل : هذه هِزّةُ كريمٍ
حسيبٍ ، والله لقد نقرتُ حبةَ قلبي فأفرغتها في قلبك ، فما
أخطأتُ إلا باعتراضِ الشكِّ بين جوانحي .



ومن جوده أيضاً : أنه جاءه رجل من الأنصار فقال : يا بن
عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انه وُلد لي في هذه الليلة
مولودٌ ، وإني سمّيته باسمِكَ تبرُّكاً مِنِّي به ، وإن أمّه ماتت .
فقال عبيدُ الله : بارك الله لك في الهبة وأجزَلَ لك الأجر
على المصيبة .

ثم دعا بوكيله ، فقال : انطلق الساعة فاشتر للمولود جارية
تَحْضِنُهُ ، وادفع اليه مائتي دينار للنفقة على تربيته ؛ ثم قال
للأنصاري : عُدّ إلينا بعدَ أيام فإنك جِئْتنا وفي العيش يُبسُّ
وفي المال قِلّةٌ .

قال الأنصاري : لو سَبَقْتَ حاتماً بيوم واحد ما ذكّرته
العربُ أبداً ، ولكنه سَبَقَكَ ، فصِرْتَ له تالياً ، وأنا أشهدُ أن
عَفْوَكَ أَكْثَرُ من مجهودِهِ ، وطلَّ كَرَمِكَ أَكْثَرُ من وابلِهِ .



ومن جودِ عبدِ الله بن جعفر أن عبد الرحمن بن أبي عمّار
دخل على نخّاسٍ يعرضُ قِياناً له ، فعَلِقَ واحدةً منهم ،
فشهرَ بذكرها حتى مشى إليه عطاءٌ وطاووس ومُجاهدٌ
يَعْدُلونه ، فكان جوابه أن قال :

يَلُومني فيكَ أقوامٌ أَجالِسُهُم ،
فما أبالي أطارَ اللومُ أم وقعَا

فانتهى خبره الى عبد الله بن جعفر ، فلم يكن له همٌّ غيره ؛
فحجَّ فبعثَ الى مولى الجارية ، فاشتراها منه بأربعين ألفَ
درهمٍ ، وأمر قَبِيمةَ جواريه أن تُزَيِّنَها وتحلِّيَها ، ففعلت .

وبلغَ الناسَ قدومه فدخلوا عليه ، فقال : ما لي لا أرى
ابنَ أبي عمّار زارنا !

فأخبرَ الشيخُ ، فأتاه مسلماً . فلما أرادَ أن يَنْهَضَ استجلسه
ثم قال : ما فَعَلَ حُبُّ فلانة ؟

قال : في اللحم والدمِ والمُخِّ والعَصَبِ .

قال : أتعرفُها لو رأيتها ؟

قال : لو أُدْخِلْتُ الجَنَّةَ لم أنكِرُها .

فأمر بها عبدُ الله أن تخرُجَ إليه ، وقال له : إنما اشتريتها
لك ، ووالله ما دنوتُ منها ، فشأنك بها مُباركاً لك فيها .

فلما ولى قال : يا غلام ، احملِ معه مائة ألف درهم يَنعمُ
بها معها .

قال : فبكى عبدُ الرحمن فرحاً ، وقال : يا أهلَ البيتِ ،
لقد خصَّكم الله بشرفٍ ما خصَّ به أحداً قبلكم من صلبِ آدم ،
فَسَهِّنْكُمْ هذه النعمةُ ، وبورك لكم فيها .

ومن جوده أيضاً : أنه أعطى امرأةً سألتَه مالاً عظيماً ،
فَقِيلَ له : إنها لا تعرفُك وكان يُرضيها اليسيرُ .
قال : ان كان يُرضيها اليسيرُ فإني لا أرضى إلا بالكثير ، وان
كانت لا تعرفُني فأنا أعرفُ نفسي .

ومن جود سعيد بن العاص : أنه مَرِضَ وهو بالشام ، فعاده
معاوية ومعه شَرَحْبِيلُ بن السَّطِّط ، ومُؤَسِّلُ بن عُقبة المُرِّيُّ ،
وزيدُ بن شجرة الرَّهَّاءويُّ ، فلما نظرَ سعيدُ معاويةَ وثبَ عن
صدرِ مجلسه إعظاماً لمعاوية . فقال له معاوية : أقسمتُ عليك
أبا عثمان أن لا تتحرَّك ، فقد ضَعُفْتَ بالعلَّة .

فسقط ، فتبادرَ معاويةُ نحوه حتى حنا عليه وأخذ بيده ،
فأقعده على فراشه وقعد معه ، وجعلَ يُسأله عن عِلَّتِهِ ومناحه
وغذائه ، ويَصِفُ له ما ينبغي أن يتوقاه ، وأطال القعود معه .

فلما خرج التفت الى شريحيل بن السمط ، ويزيد بن
شجرة ، فقال : هل رأيتمَا خللاً في مال أبي عثمان ؟

فقالا : ما رأينا شيئاً نُنكرُهُ .

فقال لمسلم بن عتبة : ما تقول ؟

قال : رأيت .

قال : وما ذاك ؟

قال : رأيتُ على حشميه ومواليه ثياباً وسيخة ، ورأيتُ
صحنَ داره غيرَ مكنوسٍ ، ورأيتُ التجّارَ يُخاصمون
قهرمانه .

قال : صدقتَ ، كلُّ ذلك قد رأيته .

فوجه إليه مع مسلمٍ بثلاثمائة ألفٍ . فسبق رسولُ
يُبشّرُهُ بها ويُخبرُهُ بما كان ؛ فغضب سعيدٌ وقال للرسول :
إنَّ صاحبك ظنَّ أنه أحسنَ فأساء ، وتأوّل فأخطأ ، فأما
وسخُ ثياب الحشم فمن كثرةِ حرّ كتيه اتسخ ثوبه ؛ وأما
كنسُ الدارِ فليست أخلاقنا أخلاقَ مَنْ جعل داره مرآته ،
وتزيّنه لبسه ، ومعروفه عطّره ، ثم لا يبالي بمن مات
هزلاً من ذي لحمةٍ أو حرمةٍ ؛ وأما مُنازعةُ التجّارِ قهرماني ،
فمن كثرةِ حوائجه وبيعِهِ وشرائه لم يجدَ بداً من أن يكونَ
ظالماً أو مظلوماً ؛ وأما المالُ الذي أمر به أميرُ المؤمنين ،

فرسلته كل ذي رحيم قاطعة ، وهناته كرامته المنعم بها
عليه ، وقد قبيلناه وأمرنا لصاحبك منه بمائة ألف ،
والشراحيل بن السمط بمثلها ، وليزيد بن شجرة بمثلها ، وفي
سعة الله وبسط يد أمير المؤمنين ما عليه معوئنا .

فركب مسلم بن عقبة الى معاوية فأعلمه ، فقال :
صدق ابن عمي فيما قال ، وأخطأت فيما انتهيت إليه ، فاجعل
نصيبك من المال لروح بن زنباع عقوبة لك ، فإنه من
جنى جناية ثوب بمثلها ، كما أنه من فعل خيراً كوفي عليه .



ومن جوده أيضاً : أن معاوية كان يداول بينه وبين
مروان بن الحكم في ولاية المدينة ، فكان مروان
يقارضه^١ ، فلما دخل على معاوية قال له : كيف تركت
أبا عبد الملك ؟ يعني مروان .

قال : تركته منفذاً لأمرك ، مصلحاً لعملك .

قال معاوية : إنه كصاحب الخبزة كفي إنضاجها فأكلها .

قال : كلا يا أمير المؤمنين ، إنه من قوم لا يأكلون إلا
ما حصدوا ، ولا يحصدون إلا ما زرعوا .

١ يقارضه : ينظر كل واحد منهما الى صاحبه شرراً .

قال : فما الذي باعدَ بينك وبينه ؟

قال : خِفْتُه على شرفي وخافني على مثله .

قال : فأَي شيء كان له عندك ؟

قال : اسوءه حاضراً وأسرُّه غائباً .

قال : يا أبا عثمان ، تركتَنا في هذه الحروب .

قال : حملتَ الثُّقلَ وكُفِّيتَ الحِزمَ .

قال : فما أبطأ بك ؟

قال : غِنَاكَ عني أبطأني عنكَ ، وكنتُ قريباً ، لو دعوتُ

لأجبنَاكَ ، ولو أمرتُ لأطعناكَ .

قال : ذلك ظَنُّنا بك .

فأقبل معاوية على أهل الشام ، فقال : يا أهلَ الشام ،

هؤلاء قومي وهذا كلامهم .

ثم قال : أخبرني عن مالِكَ ، فقد نُبِّئتُ أنك تتحرَّمُ فيه .

قال : يا أميرَ المؤمنين ، لنا مالٌ يخرجُ لنا منه فَضْلٌ ،

فإذا كان ما خرجَ قليلاً أنفقناه على قَلَّتِهِ ، وإن كان كثيراً

فكذلك ، غيرَ أننا لا ندخِرُ منه شيئاً عن مُعْسِرٍ ، ولا

طالبٍ ، ولا مستَحِيلٍ ، ولا نَسْتَأْثِرُ منه بفِلْذة لحمٍ ، ولا

مَرْعَةٍ شَحْمٍ .

قال : فكم يدوم لك هذا ؟

قال : من السنة نصفها .

قال : فما تصنع في باقيها ؟

قال : نجد من يُسلفنا ويُسارعُ الى مُعاملتنا .

قال : ما أحد أحوجُ الى أن يُصلح من شأنه منك .

قال : إنَّ شأننا لصالحُ يا أمير المؤمنين ، ولو زِدْتُ في مالي مثله ما كنتُ إلاَّ بمثل هذه الحال .

فأمر له معاوية بخمسين ألفَ درهم ، وقال : اشترِ بها ضيعةً تُعينُك على مُروءتك .

فقال سعيد : بل أشتري بها حمداً وذِكراً باقياً ، أُطعمُ بها الجائع ، وأزوِّجُ بها الأيِّمَ ، وأُفكُّ بها العاني ، وأُواسي بها الصديقَ ، وأُصلِحُ بها حال الجار .

فلم تأتِ عليه ثلاثةُ أشهرٍ وعنده منها درهم . فقال معاوية : ما فضيلةٌ بعد الإيمان بالله هي أرفع في الذِّكر ، ولا أنبه في الشُّرف من الجُودِ ، وحَسْبُكَ أنَّ الله تبارك وتعالى جعل الجُودَ إحدى صفاته .

ومن جوده أيضاً ما حكاه الأصمعيّ ، قال : كان سعيدُ ابنُ العاصِ يَسْمُرُ معه سَمَّارُه إلى أن يَنْقُضِيَ حينٌ من الليل ، فانصرف عنه القومُ ليلةً ورجلٌ قاعدٌ لم يَقُمْ ، فأمر سعيدٌ بإطفاءِ الشَّمعةِ وقال : حاجتك يا فتى ؟

فذكر أنَّ عليه ديناً أربعة آلاف درهم ، فأمر له بها .
وكان إطفاءؤه للشعلة أكثر من عطاؤه .

ومن جود عبيد الله بن أبي بكر : أنه أدلى إليه رجلٌ
بجرمة ، فأمر له بمائة ألف درهم ، فقال : أصلحك الله ،
ما وصلني أحدٌ بمثلها قطُّ ، ولقد قطعتُ لساني عن شكر غيرك ،
وما رأيتُ الدنيا في يدٍ أحدٍ أحسنَ منها في يدك ، ولولا
أنت لم تبقَ لها بهجةٌ إلا أظلمت ، ولا نورٌ إلا انطمس .

ومن جود عبيد الله بن معمر القرشي : أنَّ رجلاً أتاه
من أهل البصرة ، كانت له جاريةٌ نفيسةٌ قد أدبها بأنواع
الأدب حتى برعت وفاقَت في جميع ذلك ، ثم إنَّ الدهرَ
قعد بسيدِّها ومالَ عليه . وقَدِمَ عبيدُ الله بن معمر البصرة
من بعضِ وجوهه ، فقالت لسيدِّها : إني أريدُ أن أذكركَ
لك شيئاً أستحي منه ، إذ فيه جفاءٌ مِنِّي ، غيرَ أنه يُسهِّلُ
ذلك عليَّ ما أرى من ضيقِ حالِك ، وقلَّةِ مالِك ، وزوالِ
نعمتِك ، وما أخافُه عليك من الاحتياجِ وضيقِ الحال ،
وهذا عبيدُ الله بنُ معمرٍ قَدِمَ البصرة ، وقد علمتَ شرفه
وفضله وسعةَ كَفِّه وجودَ نفسه ، فلو أذِنْتَ لي فأصلحتُ

من شأني ، ثم تقدّمت بي إليه وعرضتني عليه هديّةً ، رجوتُ
أن يأتيك من مكافأته ما يُقيلك الله به ويُنهضك إن شاء الله .

قال : فبكى وجداً عليها وجزّعاً لفراقها منه ، ثم قال
لها : لولا أنك نطقت بهذا ما ابتدأتك به أبداً . ثم نهضَ
بها حتى أوقفها بين يدي عُبيد الله ، فقال : أعزّك الله ، هذه
جارية ربّيتها ورَضيتُ بها لك فاقبلها مِنِّي هديّةً .

فقال : مثلي لا يَسْتَهْدِي من مثلك ، فهل لك في بيعها ،
فأَجْزِلَ لك الثمنَ عليها حتى ترضى ؟
قال : الذي تراه .

قال : 'يُفْنِعُكَ مِني عَشْرُ بَدَرٍ فِي كُلِّ بَدْرَةٍ عَشْرَةٌ'
آلافِ دِرْهَمٍ ؟

قال : والله يا سيدي ما امتدَّ أَمْلِي إلى عَشْرِ ما ذَكَرْتَ ،
ولكن هذا فَضْلُكَ المعروفُ ، وجودُكَ المشهور .

فأمر عُبيدُ الله بإخراج المال حتى صارَ بين يدي الرجلِ
وقبَضَهُ ، وقال للجارية : ادخلي الحِجَابَ .

فقال سيدها : أعزّك الله ، لو أَذِنْتَ لي في وداعِها ؟

قال : نعم .

فوقفت وقامَ ، وقال لها وعيناه تَدْمَعَانِ :

أَبُوحُ بِحُزْنٍ مِنْ فِرَاقِكَ مَوْجِعٌ ،
أُقَاسِي بِهِ لَيْلًا يُطِيلُ تَفَكُّرِي

وَلَوْلَا فَعُودُ الدَّهْرِ بِي عُنْكَ ، لَمْ يَكُنْ
يُفَرِّقُنَا شَيْءٌ سِوَى الْمَوْتِ ، فَاعْذُرِي

عَلَيْكَ سَلَامٌ لَا زِيَارَةَ بَيْنَنَا ،
وَلَا وَصَلَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ ابْنُ مَعْمَرٍ

قال عُبيد الله بن معمر : قد شئتُ ذلك ، فَخُذْ جَارِيَتَكَ ،
وَبَارِكْ اللَّهُ لَكَ فِي الْمَالِ .

فذهب بجاريته وماله ، فعاد غنياً .

فَهَؤُلَاءِ أَجْوَادُ الْإِسْلَامِ الْمَشْهُورُونَ فِي الْجُودِ الْمَنْسُوبُونَ
إِلَيْهِ ، وَهُمْ أَحَدٌ عَشَرَ رَجُلًا كَمَا ذَكَرْنَا وَسَمَّيْنَا ، وَبَعْدَهُمْ
طَبَقَةٌ أُخْرَى مِنَ الْأَجْوَادِ ، قَدْ شُهِرُوا بِالْجُودِ ، وَعُرِفُوا
بِالْكَرَمِ ، وَحُمِدَتْ أَعْمَالُهُمْ ، وَسُنِدَ كُرُّ مَا أَمْكَنَّا ذِكْرَهُ
مِنْهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الطبقة الثانية من الاجواد

فمنهم الحكم بن حنطب . قيل لَنُصَيْبِ بْنِ رَبَاحٍ : خَرِفَ
شَعْرُكَ أَبَا مِحْجَنٍ ؛ قال : لا ، ولكن خَرِفَ الْكَرْمُ ، لقد
رَأَيْتُنِي وَمَدَحْتُ الْحَكَمَ بْنَ حَنْطَبٍ ، فَأَعْطَانِي أَلْفَ دِينَارٍ
وَمِائَةَ نَاقَةٍ وَأَرْبَعَمِائَةَ شَاةٍ .

وسأل أعرابيَّ الْحَكَمَ بْنَ حَنْطَبٍ ، فَأَعْطَاهُ خَمْسَمِائَةَ دِينَارٍ ؛
فبَكَى الْأَعْرَابِيُّ ؛ فَقَالَ : مَا يُبْكِيكَ يَا أَعْرَابِيَّ ؟ لَعَلَّكَ
اسْتَقْلَلْتَ مَا أَعْطَيْنَاكَ ؟ قال : لا والله ، ولكنني أبكي لما
تَأْكُلُ الْأَرْضُ مِنْكَ . ثم انشأ يقول :

وَكَأَنَّ آدَمَ ، حِينَ حَانَ وَفَاتُهُ ، أَوْصَاكَ ، وَهُوَ يَجُودُ بِالْحَوْبَاءِ
بِبَنِيهِ أَنْ تَرْعَاهُمْ فَرَعَيْتَهُمْ ، وَكَفَيْتَ آدَمَ عَمِلَةَ الْأَبْنَاءِ

الْعُتْبِيُّ قَالَ : أَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَنبِيجَ ، قَالَ :
قَدِمَ عَلَيْنَا الْحَكَمُ بْنُ حَنْطَبٍ وَهُوَ مُمْلِقٌ فَأَغْنَانَا ؛ قَالَ لَهُ :
كَيْفَ أَغْنَاكَمُ وَهُوَ مُمْلِقٌ ؟ قَالَ : عَلَّمَنَا الْمَكَارِمَ فَعَادَ
غَنَيْنَا عَلَى فَقِيرِنَا .

ومنهـم معن بن زائدة . وكان يقال فيه : حَدَّثَ عن البحر
ولا حَرَجَ ، وحَدَّثَ عن معنٍ ولا حَرَجَ . وأتاه رجلٌ يسأله
أن يحمله ، فقال : يا غلام ، أعطيه فَرَساً وبرذوناً وبغلاً
وعيراً وبَعيراً ، وقال : لو عرفتُ مَرَكوباً غيرَ هذه
لأعطيتُكَ .

العُتْبِيُّ قال : لما قَدِمَ معنُ بن زائدة البَصْرَةَ واجتمع
إليه الناس ، أتاه مروانُ بن أبي حَفْصَةَ فأخذ بعِضادَتَي البابِ ،
فأنشده شعره الذي قال فيه :

فما أحجَمَ الأعداءُ عنكَ بَقِيَّةَ

عليك ، ولكن لم يروا فيكَ مَطْمَعاً

له راحتانِ الحُتْفُ والجودُ فيهما ،

أبى اللهُ إلاَّ أن يَضُرَّ وينفعاً

ومنهـم يزيد بن المهلب . وكان هشامُ بن حِسانَ إذا
ذَكَرَهُ قال : واللهِ إن كانت السُّفُنُ لَتَجْرِي في جودِهِ .
وقيل ليزيد بن المهلب : مالك لا تبني داراً ؟ قال : منزلي
دارُ الإمارةِ أو الحبسِ .

١ عضادتَا الباب : خشبتان من جانبيه .

ولما أتى يزيدُ بن عبد الملك برأسَ يزيدَ بن المهلب نال منه
بعضُ جلسائِهِ ، فقال له : مه ! إنَّ يزيدَ بن المهلب طلبَ
جسيماً ، وركبَ عظيماً ، ومات كريماً .

•
ودخل الفرزدقُ على يزيدَ بن المهلب في الحبس فأنشدته :

صَحَّ في قَيْدِكَ السَّماحةُ والجودُ ،
وفَكَ العُناةُ والإِفْصالُ

قال : أتمدحني وأنا في هذه الحال ؟ قال : أصبتُك رخيصةً
فاشتريتُك . فأمر له بعشرة آلاف .

•
وقال سليمان بن عبد الملك لموسى بن نصير : اغرَمَ دِيَّتَكَ
خمسين مرةً .

قال : ليس عندي ما أغرَمُ .

قال : والله لتغرَمَنَّ دِيَّتَكَ مائة مرة .

قال يزيدُ بن المهلب : أنا أغرَمُها عنه يا أمير المؤمنين .

قال : اغرَم .

فغرَمها عنه مائة ألف .

العُتْبِيُّ قال : أخبرني عوانةُ قال :

استعمل الوليدُ بن عبد الملكَ عثمانَ بنَ حِثَّانِ المُرِّيَّ على المدينة وأمره بالغِلْظَةِ على أهل الظَّنَّةِ ، فلمَّا استُخْلِفَ سليمانُ أخذه بألفي ألف درهم . فاجتمعت القيسيَّةُ في ذلك ، فتحملوا شَطْرَها وضاقوا ذَرْعاً بالشَّطْرِ الثاني ، ووافق ذلك استعمالُ سليمانَ يزيدَ بن المهلبِ على العراق . فقال عمرُ بنُ هُبيرةَ : عليكم يزيدَ بن المهلبِ ، فما لها أحدٌ غيره .

فتحملوا الى يزيدَ وفيهم عمرُ بنُ هُبيرةَ ، والقَعْقَاعُ ابن حبيب ، والهذيلُ بن زُفَر بن الحارثِ ، وانتَهوا إلى رِواقِ يزيد .

قال يحيى بن أَقْتَل ، وكان حاجباً ليزيد بن المهلب ، وكان رجلاً من الأزد : فاستأذنت لهم ، فخرج يزيدُ الى الرُّواقِ فَقَرَّبَ ورَحَّبَ ، ثم دعا بالغَداءِ ، فأتوا بطعام ما أنكروا منه أكثره مما عرَفُوا . فلما تغدَّوا ، تكلم عثمانُ بن حِثَّانِ ، وكان لَسِيناً مُفَوِّهاً ، وقال : زادك الله في توفيقك أيها الأمير ، ان الوليد بن عبد الملك وجَّهني الى المدينة عاملاً عليها وأمرني بالغِلْظَةِ على أهل الظَّنَّةِ والأخذ عليهم ، وان سليمان أغرمني غرماً ، والله ما يسهه مالي ولا تحمله طاقتي ، فأتيناك لتَحْمِلَ من هذا المال ما خف عليك ، وما بقي والله ثَقِيلٌ عليّ .

ثم تكلم كلٌّ منهم بما حضره ، وقد اختصرنا كلامهم . فقال
يزيد بن المهلب : مَرَجَباً بكم وأهلاً ، إن خيرَ المال ما قُضِيَتْ
فيه الحقوق ، وحُمِلَتْ به المغارمُ . وإِنما لي من المال ما فضلَ
عن إخواني ، وإيم الله ، لو علمتُ أن أحداً أَمَلأُ بجاجتكم مني
لهديتُكم اليه ، فاحتكموا وأكثروا .

فقال عثمانُ بن حَيَّان : النِّصْفُ ، أَصْلَحَ الله الأُميرَ .

قال : نَعَمْ وكرامةٌ ، اغدوا على مالِكُم فخذوه .

فشكروا له وقاموا فخرجوا . فلما صاروا على باب الشُّرادق ،

قال 'عمر بن هُبيرة' : قَبِّحَ الله رأيكم ! والله ما يبالي يزيدُ أَنْصَفَهَا
تَحْمِلُ أم كُلِّهَا ، فمن لَكُمْ بالنصف الباقي ؟

قال القوم : هذا والله الرأيُ .

وسمع يزيدُ مناجاتهم ، فقالَ لحاجبه : انظر يا يحيى إن كان

بَقِيَ على القومِ شيءٌ فليرجعوا .

فرجعوا اليه ، وقالوا : أَقِلْنَا .

قال : قد فعلتُ .

قالوا : فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَحْمِلَهَا كُلِّهَا فَأَنْتَ أَهْلُهَا ، وَإِنْ

أَبَيْتَ فَمَا لَهَا أَحَدٌ غَيْرُكَ .

قال : قد فعلتُ .

وغدا يزيد بن المهلب الى سليمان ، فقال : يا أمير المؤمنين ،
أتاني عثمان بن حيّان وأصحابه .

قال : أُمْسِكْ في المال ؟

قال : نعم .

قال سليمان : والله لأخذنّه منهم .

قال يزيد : إني قد حملته .

قال : فأدّه .

قال يزيد : والله ما حملته إلا لأودّيّه ؛ ثم قال : يا أمير
المؤمنين ، إن هذه الجمالة وإن عظم خطبها ، فحَمَدُها
والله أعظمُ منها ، ويدي مبسوطةٌ بيدك ، فابسطها لسوّالها .

ثم غدا يزيدُ بالمالِ على الخُزّانِ فدفعه إليهم . فدخلوا
على سليمان فأخبروه بقبضِ المال ؛ فقال : وَفَّتْ يمينُ سليمان ،
احملوا إلى أبي خالدٍ مالَه ؛ فقال عديُّ بن الرّفاع العامليّ :
والله عَيْنَا مَنْ رَأَى كَحَمَالَةٍ ، تَحْمِلُهَا كَبْشُ الْعِرَاقِ يَزِيدُ

الأصمعيّ قال : قدِمَ على يزيدَ بن المهلب قومٌ من
قُضَاعَةَ من بني ضِصّة ، فقال رجلٌ منهم :

والله ما ندري ، إذا ما فاتنا

طَلَبُ إِلَيْكَ ، من الذي نَتَطَلَّبُ

ولقد خُربنا في البلاد ، فلم نجد
أحداً سواك إلى المكارم يُنسبُ
فاصبرْ لعادتنا ، التي عودتنا ،
أولاً فأرشدنا إلى من نذهبُ
فأمر له بألف دينار . فلما كان في العام المقبل وفد
عليه فقال :

ما لي أرى أبوابهم مهجورةً ،
وكان بابك مجمعُ الأسواق ؟
هابوك أم هابوك أم شاموا الندى
بيديك ، فاجتمعوا من الآفاق ؟
إنني رأيتك للمكارم عاشقاً ،
والمكر مات قليلة العشاق
فأمر له بعشرة آلاف درهم .

ومرَّ يزيد بن المهلب في طريق البصرة بأعرابية فأهدت
إليه عنزاً فقيلها ، وقال لابنه معاوية : ما عندك من نفقة ؟
قال : ثمانمائة درهم .
قال : ادفعها إليها .
قال : إنها لا تعرفك ويُرضيها اليسير .

قال : إن كانت لا تعرّفني ، فأنا أعرفُ نفسي ، وإن كان
يُرضيها اليسيرُ ، فأنا لا أَرْضَى إلا بالكثير .

ومنهم يزيد بن حاتم . وكتب اليه رجلٌ من العلماء يستوصله ،
فبعث اليه بثلاثين ألف درهم ، وكتب اليه : أما بعدُ ، فقد
بعثتُ اليك بثلاثين ألفاً لا أكثرها امتناناً ، ولا أقلّها تجشراً ،
ولا أستثيبك عليها ثناءً ، ولا أقطعُ لك بها رجاء ، والسلام .

وكان ربيعة الرّقسي قد قدم مصرَ فأتى يزيدَ بن حاتم الأزدي
فلم يُعطهِ شيئاً ، فخرج وهو يقول :

أراني ، ولا كُفّرانَ لله ، راجعاً
بِخُفّي حنينٍ من نوالِ ابنِ حاتمِ

فسألَ عنه يزيدُ ، فأخبرَ أنه قد خرجَ ، وقال كذا ،
وأنشدَ البيتَ ؛ فأرسل في طلبه ، فأتيَ به ، فقال :
كيفَ قلتَ ؟

فأنشده البيتَ .

فقال : شغلنا عنك .

ثم أمر بِخُفّيه فخلعَا من رجليه ومليئا مالاً ، وقال :
ارجعِ بهما بدلاً من خُفّي حنين .

فقال فيه لما عُزِلَ عن مصر ووُلِّي مكانه يزيدُ
ابن أُسَيْد :

بَكَى أَهْلُ مِصْرٍ بِالذُّمِّ مَوْعِ السَّوْاجِمِ ،
غَدَاةَ غَدَا مِنْهَا الْأَغْرُ بْنُ حَاتِمِ .

وفيهما يقول :

لَشَتَّانِ مَا بَيْنَ الْيَزِيدَيْنِ ، فِي النَّدَى :
يَزِيدِ سُلَيْمٍ وَالْأَغْرُ بْنُ حَاتِمِ
فَهَمْ الْفَقِي الْأَزْدِيُّ إِتْلَافُ مَالِهِ ؛
وَهَمْ الْفَقِي الْقَيْسِيُّ جَمْعُ الدَّرَاهِمِ
فَلَا يَحْسِبُ التَّمَتُّامُ أَنِّي هَجَوْتُهُ ،
وَلَكِنِّي فَضَّلْتُ أَهْلَ الْمَكَارِمِ

•
وخرجَ إليه رجلٌ منَ الشعراءِ يمدحُه ، فلما بلغَ مصرَ
وجدَه قد مات ، فقال فيه :

لئنَ مِصْرُ فَاتَتْني بما كنتُ أَرْتَجِي ،
وَأَخْلَفَنِي مِنْهَا الَّذِي كُنتُ آمُلُ
فَمَا كُلُّ مَا يَخْشَى الْفَقِي بِمُصِيبِهِ ؛
وَلَا كُلُّ مَا يَرْجُو الْفَقِي هُوَ نَائِلُ

وما كان بيني ، لو لقيتُك سالماً ،
وبين الغنى إلا ليالٍ قلائلُ

ومنهم أبو دُلَفٍ واسمُه القاسم بنُ إسماعيل ، وفيه يقول
عليُّ بن جبلة :

إسمُ الدنيا أبو دُلَفٍ ، بين مبداهُ ومختصره
فإذا ولَّى أبو دُلَفٍ ، ولَّتِ الدنيا على أثره

وقال فيه رجلٌ من شعراء الكوفة :

الله أجرى من الأرزاق أكثرها ،
على العباد ، على كَفِّي أبي دُلَفٍ
بارى الرياح فأعطى ، وهي جارية ،
حتى إذا وقفت أعطى ولم يقف
ما خطَّ « لا » كاتباه في صحيفته ،
يوماً ، كما خطَّ « لا » في سائر الصحف
فأعطاه ثلاثين ألفاً .

ومدحه آخرُ فقال له :

يُشَبِّهُهُ الرعدُ ، إذا الرعدُ رَجَفَ ،
كأنَّه البرقُ ، إذا البرقُ خَطَفَ

كَأَنَّهُ الْمَوْتُ ، إِذَا الْمَوْتُ أَزِفَ ،
تَحْمِلُهُ إِلَى الْوَعْنَى الْحَيْلُ الْقُطْفُ ١

إِنْ سَارَ سَارَ الْمَجْدُ ، أَوْ حَلَّ وَقَفَ ،
انْظُرْ بَعَيْنَيْكَ إِلَى أَسْنَى الشَّرَفِ

هَلْ نَالَهَ بِقُدْرَةٍ ، أَوْ بِكُلْفٍ ،
خَلَقَ مِنَ النَّاسِ سِوَى أَبِي دُلْفٍ ؟

فَاعْطَاهُ خَمْسِينَ أَلْفًا .



وَمِنْ أَخْبَارِ مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ ، قَالَ شَرَاهِيلُ بْنُ مَعْنِ
ابْنَ زَائِدَةَ :

حَجَّ هَارُونُ الرَّشِيدُ وَزَمِيلُهُ أَبُو يَوْسُفَ الْقَاضِي ، وَكَنتُ
كَثِيرًا مَا أُسَايِرُهُ ، إِذْ عَرَضَ لَهُ أَعْرَابِيٌّ مِنْ بَنِي أَسَدٍ فَأَنْشَدَهُ
شِعْرًا مَدَحَهُ فِيهِ وَأَفْرَطَ ؛ فَقَالَ لَهُ هَارُونُ : أَلَمْ أَنْهَكَ عَنْ
مِثْلِ هَذَا فِي مَدْحِكَ يَا أَخَا بَنِي أَسَدٍ ؟ إِذَا قُلْتَ فِينَا فَقُلْ
كَقَوْلِ الْقَائِلِ فِي أَبِي هَذَا :

بَنُو مَطَرٍ يَوْمَ الْلِقَاءِ ، كَأَنَّهُمْ
أَسُودٌ ، لَهَا فِي غَيْلِ خَفَّانٍ أَشْبَلُ

١ أَرْفَ : قَرَبَ . الْقُطْفُ ، وَاحِدُهَا قُطُوفٌ : الْفَرَسُ تَقَارِبُ الْخُطُو فِي سُرْعَةٍ .

هُمْ يَمْنَعُونَ الْجَارَ ، حَتَّى كَأَنَّمَا
جَارِهِمْ ، بَيْنَ السَّمَائِينَ ، مَنْزِلُ

بِهَالِيلُ فِي الْإِسْلَامِ سَادُوا ، وَلَمْ يَكُنْ
كَأَوَّلِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَوَّلُ ١

وَمَا يَسْتَطِيعُ الْفَاعِلُونَ فَعَالَهُمْ ،
وَإِنْ أَحْسَنُوا فِي الثَّابِتِ وَأَجْمَلُوا

هُمْ الْقَوْمُ ، إِنْ قَالُوا أَصَابُوا ، وَإِنْ دَعُوا
أَجَابُوا ، وَإِنْ أَعْطَوْا أَطَابُوا وَأَجْزَلُوا

ومنهم خالد بن عبد الله القسريّ ، وهو الذي يقول
فيه الشاعر :

إِلَى خَالِدٍ ، حَتَّى أَنْخَنَ بِخَالِدٍ ،
فَنِعْمَ الْفَتَى يُرْجَى ، وَنِعْمَ الْمُؤْمَلُ ٢

بيننا خالد بن عبد الله القسريّ جالسٌ في مِظْلَةٍ لَهُ إِذْ
نَظَرَ إِلَى أَعْرَابِيٍّ يَخْبُ بِهَ بَعِيرُهُ مُقْبِلًا نَحْوَهُ ، فَقَالَ لِحَاجِبِهِ :
إِذَا قَدِمَ فَلَا تَحْجُبْهُ . فَلَمَّا قَدِمَ أَدْخَلَهُ عَلَيْهِ ، فَسَلَّمَ وَقَالَ :
أَصْلَحَكَ اللَّهُ ! قُلْ مَا بِيَدِي ، فَمَا أَطِيقُ الْعِيَالُ ، إِذْ كَثُرُوا

١ البهاليل ، واحدها بهلول : السيد الجامع لكل خير .

أَنَاحَ دَهْرُ أَلْقَى بِكَ لِكَلِّهِ ، فَأَرْسَلُونِي إِلَيْكَ وَانْتَظَرُوا
فَقَالَ خَالِدٌ : أَرْسَلُوكَ وَانْتَظَرُوا ؟ وَاللَّهِ لَا تَنْزِلُ حَتَّى تَنْصَرِفَ
إِلَيْهِمْ بِمَا يَسُرُّهُمْ ؛ وَأَمْرُ لَهُ بِجَائِزَةٍ عَظِيمَةٍ وَكُسُوتَةٍ شَرِيفَةٍ .

وَمِنْهُمْ عَدِي بْنُ حَاتِمٍ . دَخَلَ عَلَيْهِ ابْنُ دَارَةَ فَقَالَ : إِنِّي
مَدَحْتُكَ ؛ قَالَ : أَمْسِكْ حَتَّى آتِيكَ بِمَالِي ، ثُمَّ أَمْدَحْنِي عَلَى
حَسْبِهِ ، فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ لَا أُعْطِيَكَ ثَمَنَ مَا تَقُولُ ، لِي أَلْفُ
شَاةٍ وَأَلْفُ دِرْهَمٍ وَثَلَاثَةُ أَعْبُدٍ وَثَلَاثُ إِمَاءٍ وَفَرَسِي هَذَا
حَبِيسٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَامْدَحْنِي عَلَى حَسَبِ مَا أَخْبَرْتُكَ ؛ فَقَالَ :

تَحْنُ قَلُوصِي فِي مَعَدٍّ ، وَإِنَّمَا
تُلَاقِي الرَّبِيعَ فِي دِيَارِ بَنِي ثُعَلٍ

وَأَبْقَى اللَّيَالِي مِنْ عَدِيٍّ بْنُ حَاتِمٍ
حُسَامًا ، كَنَصَلَ السِّيفِ سُلَّ مِنْ الْخِلَلِ ١

أَبُوكَ جَوَادُ لَا يُشَقُّ عُبَارُهُ ؛
وَأَنْتَ جَوَادُ مَا تَعْدَرُ بِالْعِلَلِ

فَإِنْ تَتَّقُوا شَرًّا ، فَمِثْلُكُمْ اتَّقَى ؛
وَإِنْ تَفْعَلُوا خَيْرًا ، فَمِثْلُكُمْ فَعَلَ

قَالَ لَهُ عَدِيٌّ : أَمْسِكْ ، لَا يَبْلُغُ مَالِي أَكْثَرَ مِنْ هَذَا .

١ الخلل ، واحدها خلة : جفن السيف المغشى بالأدم .

اصفاد الملوك على المدح

سعيد بن مسلم الباهلي قال :

قدم على الرشيد أعرابي من باهلة وعليه جبة حبرة ورداء يمان ، قد شده على وسطه ، ثم ثناه على عاتقه ، وعمامة قد عصبها على فؤديه ، وأرخى لها عذبة من خلفه ، فمَثَلَ بين يدي الرشيد ؛ فقال سعيد : يا أعرابي ، خذ في شرف أمير المؤمنين .

فاندفع في شعره ؛ فقال الرشيد : يا أعرابي ، أسمعك مستحسناً وأنكرُك مُتَّهِماً ، فقل لنا بيتين في هذين ، يعني محمداً الأمين وعبد الله المأمون ابنيه وهما عن حفافيه .

فقال : يا أمير المؤمنين ، حملتني على الوعر القردد^١ ، ورجعتني عن السهل الجدد^٢ . روعة الخلافة ، وبُهرُ الدرجة ، ونفور القوافي على البديهة ، فأروني تتألف لي نوافرها ، ويسكن روعي .

١ القردد : ما ارتفع وغلظ من الأرض .

٢ الجدد : الأرض الغليظة .

قال : قد فعلتُ ، وجعلتُ اعتذارك بدلاً من امتحانك .
قال : يا أمير المؤمنين ، نَقَسْتُ الحِنَاقَ ، وَسَهَّلْتُ
مَيْدَانَ السَّبَاقِ ؛ فَأَنْشَأُ يَقُولُ :

بَنَيْتَ الْعَبْدَ اللَّهَ ثُمَّ مُحَمَّدَ
ذُرَى قَبَّةِ الْإِسْلَامِ ، فَأَخْضَرْتُ عَوْدَهَا
هَمَّا طُنُبَاهَا ، بَارَكَ اللَّهُ فِيهِمَا ،
وَأَنْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَمُودَهَا^١

فقال الرشيد : وَأَنْتَ يَا أَعْرَابِيٌّ ، بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ ، فَسَلِّ
وَلَا تَكُنْ مَسْأَلَتُكَ دُونَ إِحْسَانِكَ .

قال : الْهَيْئِدَةُ^٢ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .
فأمر له بِمَائَةِ نَاقَةٍ وَسَبْعِ خِلَعٍ .

وقال مروانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ : دَخَلْتُ عَلَى الْمَهْدِيِّ فَاسْتَنْشَدَنِي ؛
فَأَنْشَدْتَهُ الشَّعْرَ الَّذِي أَقُولُ فِيهِ :

طَرَقَتْكَ زَائِرَةٌ ، فَحَيَّ خِيَالَهَا ، بِيضَاءُ تَخْلِطُ بِالْحَيَاءِ دَلَالَهَا
قَادَتْ فَوَادِكَ فَاسْتَقَادَ ، وَمِثْلُهَا قَادَ الْقُلُوبَ إِلَى الصَّبَا فَأَمَالَهَا

١ الطنب : جبل طويل يشد به سراق البيت ، أو هو الوند .

٢ الهنيدة : اسم للمائة من الابل ، أو لما فوقها ودونها ، أو للمائتين .

حتى انتهيتُ إلى قولي :

شَهِدَتْ من الأنفالِ آخِرُ آيَةٍ بِثُرَائِهِمْ ، فَأُردْتُمْ إِبْطَالَهَا
أَوْ تَجِدُونَ مَقَالََةً عَنْ رَبِّكُمْ ، جَبْرِيلُ بَلَّغَهَا النَّبِيَّ ، فَقَالَهَا ؟
هَلْ تَطْمِسُونَ مِنَ السَّمَاءِ نُجُومَهَا بِأَكْفَكُمْ أَوْ تَسْتُرُونَ هِلَالَهَا ؟

قال : وأنشدته أيضاً شعري الذي أقول فيه :

يَابْنَ الذِي وَرِثَ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا ،
دُونَ الْأَقَارِبِ مِنْ ذَوِي الْأَرْحَامِ

الْوَحْيِيُّ بَيْنَ بَنِي الْبَنَاتِ وَبَيْنَكُمْ ،
قُطِعَ الْخِصَامُ فَلَاتَ حِينَ خِصَامِ

مَا لِلنِّسَاءِ مَعَ الرَّجَالِ فَرِيضَةٌ ،
نَزَلَتْ بِذَلِكَ سُورَةُ الْأَنْعَامِ

أَنْسَى يَكُونُ ، وَلَيْسَ ذَاكَ بِكَائٍ ،
لِبَنِي الْبَنَاتِ وَرَاثَةُ الْأَعْمَامِ ؟

أَلْغَى سِهَامَهُمُ الْكِتَابُ ، فَجَاوَلُوا
أَنْ يَشْرَعُوا فِيهَا بِغَيْرِ سِهَامِ

ظَفِرَتْ بَنُو سَاقِي الْحَبَجِ بِحَقِّهِمْ ،
وَعُثِرَتْهُمْ بِتَوَهُمِ الْأَحْلَامِ

قال مروان بن أبي حفصة : فلما أنشدت المهديّ الشعريّن ،
قال : وجب حقك على هؤلاء ، وعنده جماعة من أهل بيته ،
قد أمرت لك بثلاثين ألفاً ، وفرضت على موسى خمسة
آلاف ، وعلى هارون مثلها ، وعلى عليّ أربعة آلاف ، وعلى
العبّاس كذا ، وعلى فلان كذا ، فحسبت سبعين ألفاً .
قال : فأمر بالثلاثين ألفاً فأقي بها ، ثم قال : اغد على
هؤلاء ، وخذ ما فرضت لك .

فأتيت موسى ، فأمر لي بخمسة آلاف ، وأتيت هارون ،
فأمر لي بمثلها ، وأتيت عليّاً ، قال : قصّر بي دون إخوتي
فلن أقصّر بنفسي ، فأمر لي بخمسة آلاف ؛ فأخذت من
الباقيّن سبعين ألفاً .

ودخل أعشى ربيعة على عبد الملك بن مروان وعن يمينه
الوليد ، وعن يساره سليمان ؛ فقال له عبد الملك : ماذا بقي
يا أبا المغيرة ؟

قال : مضى ما مضى وبقي ما بقي ؛ وأنشأ يقول :

وما أنا في حَقِّي ؛ ولا في خصومي ،

بمُتَضَمِّ حَقِّي ، ولا قارعٍ سِنِّي

ولا مُسَلِّمٍ مَوْلَايَ من سُوء ما جَنِي ،

ولا خائفٍ مَوْلَايَ من سُوء ما أَجَنِي

وَفَضَّلِي فِي الْأَقْوَالِ وَالشَّعْرِ أَنِّي
 أَقُولُ الَّذِي أُعْنِي ، وَأَعْرِفُ مَا أُعْنِي
 وَأَنْ فَوَادِي ، بَيْنَ جَنِيِّ ، عَالَمٍ
 بِمَا أَبْصَرْتُ عَيْنِي وَمَا سَمِعْتُ أُذُنِي
 وَأَنْتِي ، وَإِنْ فَضَّلْتُ مَرْوَانَ وَابْنَهُ
 عَلَى النَّاسِ ، قَدْ فَضَّلْتُ خَيْرَ أَبٍ وَابْنٍ

فَضَحِكَ عَبْدُ الْمَلِكِ ، وَقَالَ لِلْوَلِيدِ وَسَلِيمَانَ : أَتَلُومَانِي عَلَى
 هَذَا ؟ وَأَمْرٌ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافٍ .

●
 الْعُتْبِيُّ قَالَ : دَخَلَ الْفَرَزْدَقُ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ أُمِّ الْحَكَمِ ،
 فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : أَبَا فِرَاسٍ ، دَعْنِي مِنْ شَعْرِكَ الَّذِي
 لَا يَأْتِي آخِرُهُ حَتَّى يُنْسَى أَوَّلُهُ ، وَقُلْ فِي بَيْتَيْنِ يَعْقِلَانِ أَفْوَاهَ
 الرُّثَاةِ وَأَعْطِيكِهَا عَطِيَّةً لَمْ يُعْطِكِهَا أَحَدٌ قَبْلِي .
 فَعَدَا عَلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ :

وَأَنْتَ ابْنُ بَطْحَاوَيْ قُرَيْشٍ ، فَإِنْ تَشَأْ
 تَكُنْ فِي ثَقِيفٍ سَيْلَ ذِي حَدَبٍ غَمْرٍ ١

١ بطحاي قريش : اراد قريش البطحاء ، سمي بذلك الذين كانوا ينزلون
 الشعب بين اخشي مكة ، وسمي الذين كانوا ينزلون خارجه بقريش الظواهر .
 الحدب : الحدور في صلب .

وَأَنْتَ ابْنُ فَرْعٍ مَاجِدٍ ، لِعَقِيلَةٍ
تَلَقَّتْ لَهُ الشَّمْسُ الْمُضِيئَةَ بِالْبَدْرِ

قال : أَحْسَنْتَ ! وَأَمْرٌ لَهُ بَعَشْرَةُ آلَافٍ .

أَبُو سُوَيْدٍ قَالَ : أَخْبَرَنِي الْكُوفِيُّ قَالَ :

اعْتَرَضَ الْفَضْلَ بْنَ يَحْيَى بْنَ خَالِدٍ فِي وَقْتِ خُرُوجِهِ إِلَى
خُرَاسَانَ فَتَى مِنَ التَّجَّارِ كَانَ شَخْصَ إِلَى الْكُوفَةِ ، فَقُطِعَ
بِهِ وَأُخِذَ جَمِيعُ مَا كَانَ مَعَهُ ، فَأَخَذَ بَعِثَانِ دَابَّةَ الْفَضْلِ وَقَالَ :

سَأَرْسِلُ بَيْتًا ، لَيْسَ فِي الشَّعْرِ مِثْلُهُ ،
يُقَطِّعُ أَعْنَاقَ الْبُيُوتِ الشُّوَارِدِ

أَقَامَ التَّدْيَ وَالْبَاسُ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ ،
أَقَامَ بِهِ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى بْنَ خَالِدٍ

قال : فَأَمْرٌ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ .

الْعُمَيْيُّ : قَالَ أَبُو الْجَنْوَبِ مَرْوَانَ بْنَ أَبِي حَفْصَةَ أَبِيَاتًا
وَرَفَعَهَا إِلَى زُبَيْدَةَ ابْنَةِ جَعْفَرٍ يَمْدَحُ ابْنَهَا مُحَمَّدًا وَفِيهَا يَقُولُ :

لِلَّهِ دَرُكٌ يَا عَقِيلَةَ جَعْفَرٍ ،
مَاذَا وَلَدْتَ مِنَ الْعُلَا وَالسُّودِ !

إِنَّ الْخِلَافَةَ قَدْ تَبَيَّنَ نُورُهَا ،
لِلنَّاطِرِينَ ، عَلَى جَبِينِ مُحَمَّدٍ
فَأَمَرْتُ أَنْ يُمْلَأَ فَمُهُ دُرًّا .



وقال الحسنُ بن رجاء الكاتب : قدِم علينا عليُّ بن جبلةَ
إلى عسكر الحسن بن سهل والمأمون هناك بانيّاً على خديجةَ
ابنة الحسن بن سهل ، المعروفة ببوران ، ونحن إذ ذاك نُجري
على نَسَفٍ وسبعين ألف فلاح ، وكان الحسن بن سهل مع المأمون
يتصبَّحُ ، فكان الحسنُ يجلسُ للناس إلى وقت انتباهه . فلما
قدِمَ عليُّ بن جبلة نزل بي ، فقلت له : قد قوي شغلُ الأمير .
قال : إِذَا لَا أَضِيعُ مَعَكَ .
قلت : أَجَلٌ .

فدخلت على الحسن بن سهل في وقت ظهوره فأعلمته مكانه ؛
فقال : أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟

قلت : لست بمشغول عن الأمر له .
فقال : يُعْطَى عشرة آلافٍ إلى أن نتفرَّغ له .
فأعلمت عليَّ بن جبلة ؛ فقال في كلمة له :

أَعْطَيْتَنِي يَا وَلِيَّ الْحَقِّ ، مُبْتَدَأً ،
عَطِيَّةً كَأَفَاتِ حَمْدِي وَلَمْ تَرِنِّي

مَا شِمْتُ بِرَقِّكَ حَتَّى نِلْتُ رَيْقَهُ ،
كَأَنَّمَا كُنْتُ بِالْجَدْوَى تُبَادِرُنِي

عرض رجلٌ لابن طَوْقٍ ، وقد خرج متنزّهاً في الرّحبة ،
فناوله رقعةً فيها جميعُ حاجته ، فآخذها فإذا فيها :

جَعَلْتُكَ دُنْيَايَ ، فَإِنْ أَنْتَ جُدْتَ لِي
بِخَيْرٍ ، وَإِلَّا فَالْسَّلَامُ عَلَى الدُّنْيَا

فقال : والله لأُصدّقنَّ ظَنِّكَ ؛ فأعطاه حتى أغناه .

عرض دَعْبِلُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّاعِرُ لعبد الله بن طاهر الخُرَاساني ،
وهو راكبٌ في حَرَّاقَةٍ له في دجلة ، فأشار إليه برُقعةٍ ، فأمر
بأخذها فإذا فيها :

عَجِبْتُ حَرَّاقَةَ ابْنِ الْحُسَيْنِ ، كَيْفَ تَسِيرُ وَلَا تَغْرَقُ
وَبِحِرَانٍ : مِنْ تَحْتِهَا وَاحِدٌ وَآخَرُ مِنْ فَوْقِهَا مُطْبِقُ
وَأَعْجَبُ مِنْ إِذَاكَ عِيدَانُهَا ، إِذَا مَسَّهَا كَيْفَ لَا تُورِقُ
فأمر له بخمسة آلاف درهم وجارية وفرسٍ .

وخرج عبد الله بن طاهر ، فتلقّاه دَعْبِلُ برُقعةٍ فيها :

طَلَعَتْ قِنَاتُكَ بِالسَّعَادَةِ فَوْقَهَا ،
 مَعْقُودَةً بِلَوَاءٍ مُلْكٍ مُقْبِلٍ^١
 تَهْتَرُ فَوْقَ طَرِيدَتَيْنِ ، كَأَنَّمَا
 تَهْفُو يُقَصُّ لَهَا جَنَاحَا أَجْدَلِ
 رَبِيحَ الْبَخِيلِ ، عَلَى احْتِيَالٍ ، عِرْضَهُ
 يَنْدَى يَدَيْكَ ، وَوَجْهَكَ الْمُتَهَلِّلِ
 لَوْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ نَيْلَكَ عَاجِلٌ ،
 مَا فَاضَ مِنْهُ جَدُولٌ فِي جَدُولِ
 فَأَمَرَ لَهُ بِخَمْسَةِ آلَافٍ .

ووقف رجلٌ من الشعراء إلى عبد الله بن طاهر فأنشده :
 إِذَا قِيلَ : أَيُّ فَتَى تَعْلَمُونَ أَهْشَ إِلَى الْبَأْسِ وَالنَّائِلِ
 وَأَضْرَبَ لِلْهَامِ يَوْمَ الْوَعَى ، وَأَطْعَمَ فِي الزَّمَنِ الْمَاحِلِ ؟
 أَشَارَ إِلَيْكَ جَمِيعُ الْأَنَامِ ، إِشَارَةً غَرَقَى إِلَى سَاحِلِ
 فَأَمَرَ لَهُ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ .

١ يريد بالقناة التي يعقد فوقها لواء الأمير .

أحمد بن مطير قال : أنشدتُ عبدَ الله بنَ طاهرٍ أبياتاً
كنتُ مدحتُ بها بعضَ الولاةِ وهي :

له يومٌ بؤسٌ ، فيه للناسِ أبؤسٌ ،
ويومٌ نعيمٌ ، فيه للناسِ أنعمٌ
فيَقْطُرُ يومَ الجودِ ، من كَفِّهِ ، الندى ،
ويَقْطُرُ يومَ البؤسِ ، من كَفِّهِ ، الدَّمُ
فلو أنَّ يومَ البؤسِ لم يَتَشَنَّ كَفُّهُ
عن الناسِ ، لم يُصْبِحْ على الأرضِ مُجْرِمٌ
ولو أنَّ يومَ الجودِ فَرَّغَ كَفُّهُ
لَبَدَّلَ الندى ، ما كان بالأرضِ مُعْدِمٌ

فقال لي عبدُ الله : كم أعطاك ؟ قلتُ : خمسةَ آلاف ؛
قال : فقَبِلَتْهَا ؟ قلتُ : نعم ؛ قال لي : أخطأتَ ، ما ثمنُ
هذه إلا مائة ألف .

ودخل حمّادُ عَجْرَدَ على أبي جعفرٍ بعد موتِ أبي العباسِ
أخيه فأنشده :

أتوكَ بعد أبي العباسِ ، إذ بانا ،
يا أكرمَ الناسِ أعراقاً وعيداناً

لو مَجَّ عودٌ على قومٍ عَصارتَه ،
لَمَجَّ عودُك فينا الشَّهْدَ والباثا
فأمر له بخمسة آلاف درهم .



القَحْذَمِيُّ قال : جاء موسى شهوات إلى سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان ، فقال : إنَّ هنا جاريةً تعشَّقْتُها ، وأبَوْا أن يَنقِصوني عن مائتي دينار .
فقال : بُوركَ فيها .

فذهب إلى سعيد بن خالد بن أسيد ، وأمه عائشة بنت طلحة الطَّلحات ، فدعا بِمِطْرَفِ خَزٍّ فَبَسَطَه وعَقَدَ في كُلِّ رُكنٍ من أركانِه مائةَ دينار ، وقال لموسى : خذِ المِطْرَفَ بما فيه ، فأخذه ، ثم غدا عليه فأنشده :

أبا خالدٍ ، أعني سعيدَ بنَ خالدٍ ،
أخا العُرفِ ، لا أعني ابنَ بنتِ سعيدٍ
عَميدَ الندى ، ما عاش يَرضى به الندى ،
فان ماتَ لم يَرضَ الندى بعَميدٍ

١ ابن بنت سعيد : سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان ، وأمه بنت سعيد بن العاص .

دَعُوهُ دَعُوهُ ! إِنَّكُمْ قَدْ رَقَدْتُمْ ،
وما هو عن أحسابكم برقودٍ

العتبي قال : سمعت عمي ينشد لأبي العباس الزُّبيري :

وكلُّ خَلِيفَةٍ ووَليِّ عَهْدٍ ، لَكُمْ ، يَا آلَ مَرْوَانَ ، الْفِدَاءُ
إِمَارَتُكُمْ شِفَاءٌ ، حَيْثُ كَانَتْ ، وَبَعْضُ إِمَارَةِ الْأَقْوَامِ دَاءُ
فَأَنْتُمْ تُحَسِّنُونَ إِذَا مَلَكَكُمْ ، وَبَعْضُ الْقَوْمِ إِنْ مَلَكَوا أَسَاءُوا
أَجْعَلُكُمْ وَغَيْرَكُمْ سُوءًا ، وَبَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمُ الْهَوَاءُ ؟
هُمْ أَرْضٌ لَأَرْجِلِكُمْ ، وَأَنْتُمْ لِأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ سَمَاءُ
فَقُلْتُ لَهُ : كَمْ أُعْطِيَ عَلَيْهَا ؟ قَالَ : عَشْرِينَ الْفَأْ .

الأصمعيّ قال : حَدَّثَنِي رُؤْبَةُ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى أَبِي مُسْلِمٍ
صَاحِبِ الدَّعْوَةِ ، فَلَمَّا أَبْصَرَنِي نَادَى : يَا رُؤْبَةُ ! فَأَجَبْتَهُ :

لَبَّيْكَ ، إِذْ دَعَوْتَنِي ، لَبَّيْكَ ! أَحْمَدُ رَبًّا سَاقَنِي إِلَيْكَ
الْحَمْدُ وَالنِّعْمَةُ فِي يَدَيْكَ

قال : بل في يدي الله تعالى ؛ قلت له : وأنت إذا أنعمت
أجدت . ثم قلت : يأذن لي الأمير في الانشاد ؟ قال : نعم ؛
فأنشدته :

ما زال يأتي الملك من أقطاره ، وعن يمينه وعن يساره
 مشمراً لا يسطلي بناره ، حتى أقرّ الملك في قراره
 فقال : يا روبة إنك أتيتنا وقد شفّ المال واستنفده
 الإنفاق ، وقد أمرنا لك بجائزة وهي تافهة يسيرة ، ومنك
 العود وعلينا المعول ، والدهر أطرق مستتب ، فلا
 تجعل بيننا وبينك الأسدة .

قال روبة : فقلت : الذي أفادني الأمير من كلامه
 أكثر من الذي أفادني من ماله .



ودخل نصيب بن رباح على هشام فأنشده :

إذا استبق الناس العُلا سبقتهم
 يمينك ، عفواً ، ثم صلت شمالك^١

فقال هشام : بلغت غاية المدح فسكتني .

فقال : يا أمير المؤمنين ، يداك بالعطيّة أطلق من
 لساني بالمسألة .

قال : لا بدّ أن تفعل ، قال : لي ابنة نفّضت عليها من
 سوادى فكسدها ، فلو أنفقها أمير المؤمنين بشيء يجعله لها .

١ صلت : تبعت وجاءت تالية .

قال : فأقطعها أرضاً ، وأمر لها بحُلَّى وكسوة ، فنفقتِ
السوداءُ .



الرياشيُّ عن الأصمعي قال : مَدَحَ نُصَيْبُ بْنُ رَبَاحٍ عَبْدَ
الله بن جعفرٍ ، فأمر له بمالٍ كثيرٍ ، وكُسوةٍ شريفةٍ ،
ورواحلٍ مُوقرةٍ بُرّاً وتمراً ؛ ففعل له : أتفعلُ هذا بمثلِ
هذا العبدِ الأسود ؟

قال : أما لئن كان عبداً إنَّ شِعْرَهُ فِيَّ لَحُرٌّ ، ولئن كان
أسوداً إنَّ ثَنَاءَهُ لأَبْيَضُ ، وإِنَّمَا أَخَذَ مَا لَأَيْفَى ، وثياباً تَبْلَى ،
ورواحلَ تُنْضَى ؛ وأعطى مديحاً يُرْوَى ، وثَنَاءً يَبْقَى .



وذكروا عن أبي التَّجَمِّمِ العِجَلِيِّ أَنَّهُ أَنْشَدَ هِشَاماً شِعْرَهُ
الذي يقول فيه :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَهَّابِ الْمُجْزِلِ

وهو من أجودِ شِعْرِهِ ، حتى انتهى إلى قوله :

وَالشَّمْسُ فِي الْجَوْ كَعَيْنِ الْأَحْوَلِ

وكان هِشَامٌ أَحْوَلَ ، فأغضبه ذلك ، فأمر به فطُرِدَ .
فأمَّلَ أَبُو التَّجَمِّمِ رَجْعَتَهُ ، فكان يَأْوِي إِلَى الْمَسْجِدِ .

فَأَرَقَ هِشَامٌ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَالَ لِحَاجِبِهِ : ابْغِنِي رَجُلًا عَرَبِيًّا
فَصِيحًا يُحَدِّثُنِي وَيُنَشِّدُنِي .

فَطَلَبَ لَهُ مَا سَأَلَ ، فَوَجَدَ أَبَا النَّجْمِ ، فَأَتَى بِهِ . فَلَمَّا
دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ : أَيْنَ تَكُونُ مِنْذُ أَقْصَيْنَاكَ ؟
قَالَ : حَيْثُ الْفَاقِي رَسُولُكَ .

قَالَ : فَمَنْ كَانَ ، أَبَا النَّجْمِ ، أَبَا مَثْوَاكَ ؟
قَالَ : رَجُلَيْنِ أَتَعَذَّى عِنْدَ أَحَدِهِمَا وَأَتَعَشَّى عِنْدَ الْآخَرِ .
قَالَ : فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ ؟ قَالَ : ابْنَتَانِ .
قَالَ : أَزَوَّجْتَهُمَا ؟ قَالَ : زَوَّجْتُ إِحْدَاهُمَا .

قَالَ : فَبِمَ أَوْصَيْتَهَا لَيْلَةً أَهْدَيْتَهَا ؟ قَالَ : قُلْتُ لَهَا :
سُبِّي الْحَمَامَةَ وَابْهَيْ عَلَيْهَا ، وَإِنْ أَبَتْ فَازْدَلْفِي إِلَيْهَا
ثُمَّ اقْرَعِي بِالْعُودِ مِرْقَقِيهَا ، وَجَدَّي الْخُلْفَ بِهِ عَلَيْهَا
قَالَ : فَهَلْ أَوْصَيْتَهَا بَعْدَ هَذَا ؟ قَالَ : نَعَمْ :

أَوْصَيْتُ مِنْ بَرَّةٍ قَلْبًا بَرًّا ، بِالْكَلْبِ خَيْرًا وَالْحَمَامَةَ شَرًّا
لَا تَسَامِي خَنْفًا لَهَا وَجَرًّا ، وَالْحَيَّ غَمِيهِمْ بَشَرًا طَرًّا
وَإِنْ كَسَوُكَ ذَهَبًا وَدُرًّا ، حَتَّى يَرَوْا حُلُوَ الْحَيَاةِ مُرًّا
قَالَ هِشَامُ : مَا هَكَذَا أَوْصَى يَعْقُوبُ وَلَدَهُ .

قال أبو النجم : ولا أنا كيعقوبَ ولا ولدي كولده .
قال : فما حال الأخرى ؟ قال : هي ظلامَةٌ التي
أقول فيها :

كَانَ ظَلَامَةٌ ، أختَ شيبانَ ، يَتِيمَةٌ ، ووالداها حَيَّانُ
الرَّأْسُ قَمَلٌ كُلُّهُ وَصِيبَانُ ، وليس في الرَّجُلَيْنِ إِلَّا خَيْطَانُ
فهي التي يُذْعَرُ منها الشَّيْطَانُ

قال هشام لحاجبه : ما فعلتَ بالدنانير التي أمرتكَ بقبْضِها ؟
قال : هي عندي ، وهي خمسمائة دينار .
قال له : ادفعها لأبي النجم ليَجْعَلَهَا في رِجْلَي ظلامَةٍ
مكانَ الحَيْطَيْنِ .



أبو عُبيدة قال : حَدَّثَنِي يونس بن حبيب قال :
لما اسْتُخْلِفَ مروانُ بن محمد دخل عليه الشعراءُ يَهْنِئُونَهُ
بالخِلافةِ ، فتقدَّمَ إليه طَريحُ بنُ إِسماعيلَ الثَّقَفِيِّ ، خالُ الوليدِ
ابن يزيد ، فقال : الحمدُ لله الذي أنعمَ بك على الإسلامِ إماماً ،
وجعلكَ لأحكامِ دينهِ قِواماً ، ولأمةِ محمدٍ المصطفى جُنةً
ونظاماً ؛ ثم أنشده شعره الذي يقول فيه :

تَسُوءُ عِداكَ ، في سَدادٍ وَنَعْمَةٍ ،
خَلَقْتُنَا تِسْعِينَ عَاماً وَأَشْهُراً

فقال مروان : كم الأشهر ؟ قال : وفاء المائة يا أمير المؤمنين ، تبلغ فيها أعلى درجة وأسعد عاقبة في النُصرة والتمكين . فأمر له بمائة ألف درهم .

ثم تقدّم إليه ذو الرُمة مُتَحَانِياً كَبْرَةً قد انخلت عِمامته مُنحدرةً على وجهه ، فوقف يُسويها ؛ فقبل له : تقدّم ؛ قال : إني أُجلُّ أمير المؤمنين أن أخطب بشرفه مادحاً بلوثة عِمامتي . فقال مروان : ما أمّلتُ أنه قد أبقت لنا منك مَيّ ، ولا صيدح^١ ، في كلامك إمتاعاً .

قال : بلى والله يا أمير المؤمنين ، أَرِدُ منه قَراحاً ، والأحسن امتداحاً . ثم تقدّم فأنشد شعراً يقول فيه :

فقلتُ لها : سيري ! أمامك سيّدُ ،
تفرّعَ من مروان أو من مُحمّد

فقال له : ما فعلت مَيّ ؟

فقال :

طويّت عُدائِرُها ببُردِ بليّ ، ومحا التُّرابُ محاسنَ الحدّ
فالتفت مروان الى العباس بن الوليد ، فقال : أما ترى

١ مي : صاحبة ذي الرمة . صيدح : نافقة .

القوافي تَنَثَّالُ انْثِيالاً؟ يُعْطَى بِكُلِّ مَنْ سَمَّى مِنْ آبَائِي
أَلْفَ دِينَارٍ .

قال ذو الرُّمَّة : لو علمتُ لبلغتُ عبدَ شمس .



الربيعُ حاجبُ المنصورِ قال : قلتُ يوماً للمنصورِ : إنَّ
الشعرَاءَ ببابك وهم كثيرون طالت أيامهم ، ونَفِدَت نفقاتُهم ؛
فقال : اخرج إليهم فاقراً عليهم السلام ، وقُلْ لهم : من
مَدَحَنِي مِنْكُمْ فَلَا يَصِفَنِي بِالْأَسَدِ ، فَإِنَّمَا هُوَ كَابٌ مِنَ الْكِلَابِ ،
وَلَا بِالْحَيَّةِ ، فَإِنَّمَا هِيَ دُوبِيَّةٌ مُنْتَنَةٌ تَأْكُلُ التُّرَابَ ، وَلَا
بِالْجَبَلِ ، فَإِنَّمَا هُوَ حَجَرٌ أَصَمٌّ ، وَلَا بِالْبَحْرِ ، فَإِنَّمَا هُوَ غُطَامُطٌ^١
لَجِبٌ ، وَمَنْ لَيْسَ فِي شَعْرِهِ هَذَا فَلْيَدْخُلْ ، وَمَنْ كَانَ فِي
شَعْرِهِ فَلْيَنْصَرَفْ .

فانصرفوا كلُّهم إلا إبراهيمَ بنَ هرمة ، فإنه قال له : أنا
له يا ربيع ، فأدخلني .

فأدخله . فلما مَثَلَ بين يديه ، قال المنصور : يا ربيعُ ، قد
علمتُ أنه لَا يُجِيبُكَ أَحَدٌ غَيْرُهُ ، هَاتِ يَا بَنَ هَرْمَةَ .
فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

١ غطامط : عظيم الأمواج .

له لحظاتٌ عن حِفَافِي سِريره ،
إذا كَرَّها فيها عَذَابٌ ونَائِلٌ

لَهُ طِينَةٌ بيضاءُ من آلِ هاشمٍ ،
إذا اسودَّ من كُومِ الترابِ القبائلُ

إذا ما أبى شيئاً مضى كالذي أبى ؛
وإن قال إنِّي فاعِلٌ ، فهو فاعِلٌ

فقال : حسبك ، هاهنا بلغتُ ، هذا عينُ الشعرِ ، قد
أمرتُ لك بخمسةِ آلافِ درهم .

فَقُمْتُ إليه وَقَبَلْتُ رأسه وأطرافه ثم خرجتُ ، فلما
كِدْتُ أن أخفي على عينيه سمعته يقول : يا إبراهيم .

فَأَقْبَلْتُ إليه فزِعاً ، فقلتُ : لبيك ، فإداك أبي وأمي .
قال : احتفظ بها فليس لك عندنا غيرها .

فقلتُ : بأبي وأمي أنت ، أحفظُها حتى أوافيك بها على
الصراطِ بخاتمِ الجِهْنَدِ .

علي بن الحسين قال : أنشد عليُّ بن الجهم جعفرًا المتوكل
شعره الذي أوله :

هي النفسُ ما حَمَلَتْهَا تَحْمَلُ

وكان في يد المتوكل جوهرتان . فأعطاه التي في يمينه ،
فأطرقَ مُتفكِّراً في شيء يقولهُ لِيأخذَ التي في يساره ، فقال :
ما لك مفكراً؟ إنما تفكّر فيما تأخذُ به الأخرى، خذْها لا بورك
لك فيها . فأنشأ يقول :

بسرٍّ من رى إمامٌ عدلٍ ، تَغْرِفُ من بجره البحارُ
يُرجى ويُخشى لكلِّ أمرٍ ، كأنه جنّةٌ ونارُ
الملِكُ فيه وفي بنيهِ ، ما اختلفَ الليلُ والنهارُ
يُدهاه في الجودَ صرّتان ، عليه كلتاها تغارُ
لم تأتِ منه اليمينُ شيئاً ، إلا أتت مثله اليسارُ

وقال آخر في الهول :

إذا سألتَ الندى عن كل مكرُمة ،
لم تُلَفِ نِسْبَتَها إلا إلى الهولِ
لوزاحمِ الشمسِ ألقى الشمسَ مُظلمة ،
أو زاحمِ الصُّمِّ أَلْجأها إلى المِئِيلِ
أمضى من الدهر ، إن نَابَتْه نائبةٌ ،
وعندَ أعدائه أمضى من السَّيْلِ

ودخل شاعرٌ من أهل الريّ يقال له أبو يزيد على عبد الله
ابن طاهر صاحب خراسان فأنشده :

اشربْ هَنِيئاً ، عليك التاجُ مُرتفقاً ،
من شاذِيَاخَ ، ودَعْ غمدانَ لليمنِ ١
فأنتَ أُولَى بتاجِ المُلْكِ تَلْبَسُهُ ،
من هَوْدَةَ بنِ عليٍّ وابنِ ذي يَزَن
فأمر له بعشرة آلاف درهم .

•
ودخلت ليلى الأَخِيلِيَّةُ على الحَجَّاجِ فأنشدته :
إِذَا وَرَدَ الحَجَّاجُ أرضاً مَرِيضَةً ،
تَتَبَّعَ أَقْصَى دَائِهَا فشفَاهَا
شفاها من الدَّاءِ العُضَالِ ، الذي بها ،
غُلامٌ إِذَا هَزَّ القَنَاةَ سَقَاهَا

فقال لها : لا تقولي غلامٌ ، ولكن قولي هُمامٌ ؛ ثم قال :
أيُّ النساءِ أحبُّ اليك أنْزُلكَ عندها ؟

١ مرتفقاً : ثابتاً دائماً . شاذياخ : مدينة نيسابور أم بلاد خراسان ، وكانت
قديماً بستاناً لعبد الله بن طاهر بن الحسين . غمدان : قصر للملك اليماني بين
صنعاء وطبوة .

قالت : وَمَنْ نِسَاؤُكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ؟

قال : أُمُّ الْجُلَّاسِ ابْنَةُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ الْأُمَوِيَّةَ ، وَهِنْدُ ابْنَةُ أَسْمَاءَ بْنِ خَارِجَةَ الْفَزَارِيَّةَ ، وَهِنْدُ ابْنَةُ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صَفْرَةَ الْعَتَكِيَّةَ .

قالت : الْقَيْسِيَّةُ^١ أَحَبُّ إِلَيَّ .

فلما كَانَ مِنَ الْغَدِ دَخَلَتْ عَلَيْهِ ، قَالَ : يَا غَلَامُ ، أَعْطَيْهَا خَمْسَمِائَةَ .

قالت : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، أَحْسِبُهَا أَذْمًا^٢ .

قال قَائِلٌ : إِنَّمَا أَمْرُ لَكَ بِشَاءٍ .

قالت : الْأَمِيرُ أَكْرَمُ مِنْ ذَلِكَ .

فَجَعَلَهَا إِبْلًا إِنْثَاءً عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ، وَإِنَّمَا كَانَ أَمْرُهَا بِشَاءٍ .

١ القيسية : تريد هند بنت أسماء .

٢ الأدم : البيض من الإبل ، وهي أكرمها .

الايدي السخية

٥	.	.	.	كتاب الزبرجدة في الأجواد والأصفاد .
٧	.	.	.	مدح الكرم وذم البخل
١٥	.	.	.	الترغيب في حسن الثناء واصطناع المعروف
٢٠	.	.	.	الجود مع الاقوال
٢٥	.	.	.	العطية قبل السؤال
٣٠	.	.	.	استنجاح الحوائج .
٣٧	.	.	.	استنجاز المواعيد .
٥٢	.	.	.	لطيف الاستمناح .
٨٧	.	.	.	الاخذ من الامراء
٩١	.	.	.	تفضيل بعض الناس على بعض في العطاء
٩٣	.	.	.	شكر النعمة
٩٧	.	.	.	قلة الكرام في كثرة اللثام
١٠٠	.	.	.	من جاد أولاً وضم آخرأ
١٠٢	.	.	.	من ضم أولاً ثم جاد آخرأ
١٠٥	.	.	.	من مدح أميرأ فخيه
١١٠	.	.	.	أجواد اهل الجاهلية
١٢١	.	.	.	أجواد أهل الاسلام
١٣٦	.	.	.	الطبقة الثانية من الاجواد
١٤٩	.	.	.	اصفاد الملوك على المدح

العقد الفريد

- | | |
|---|-------------------|
| ١ | السلطان وعدل ساعة |
| ٢ | تحت ظلال القنا |
| ٣ | الأيدي السخية |
| ٤ | وفود العرب |

892.78:I1314iKA:v.3:c.1

البيستاني، كرم

العقد الفريد

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01042083

American University of Beirut



892.78

I1314iKA

V.3

General Library

892.708
I132ikaA
v.3
c.1